الاستشراق وأثره على الفكر العربي المعاصر
د. محمد عابد الجابري نموذجاً في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم"

دكتور/ ناصر بن يحيى الحنيني
الأستاذ المساعد بجامعة نجران
كلية الشريعة وأصول الدين، قسم أصول الدين

ملخص البحث (العربي)
الاستشراق وأثره على الفكر العربي المعاصر
د.محمد عابد الجابري نموذجاً في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم"

اشتمل البحث على تعريف الاستشراق،ثم بيان ملامح الاستشراق ودوافعه ثم عرفت بشكل إجمالي للاستشراق البريطاني والفرنسي والألماني والأسباني مع ذكر نماذج للمستشرقين، ثم عقدت مبحثاً بعنوان (الاستشراق والقرآن)، وذكرت في التمهيد أثر القرآن العميق على الفكر والاعتقاد ثم تطرقت في التمهيد للفرق بين الاستشراق القديم والحديث ثم ذكرت في المطلب الأول الاستشراق والتشكيك في القرآن وأجملت منهجهم وطريقتهم في: مجال الترجمة،و وإبرازهم للروايات والقراءات الشاذة، ودعواهم في عدم ترتيب القرآن زمنيا وعدم تناسب السور والآيات، ونفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم،والتشكيك في ألوهية الوحي والتأكيد على بشريته، ثم عقدت المطلب الثاني لبيان جهود المفكرين العلمانيين في التشكيك بالقرآن وتأثرهم بالمستشرقين، ثم عقدت مطلباً ثالثاً لدراسة مقارنة بين جهود المستشرقين للطعن في القرآن وبين جهود التيار العلماني للطعن في القرآن وبيان أثر الاستشراق عليهم في:تصريحهم بهذا التأثر الكبير والإشادة بالجهود الاستشراقية، وبيان ترديدهم لنفس الدعاوى التي يقررها المستشرقون كالقول ببشرية القرآن، وذكرت أن بعضهم لا يشيرون إلى سرقاتهم من المستشرقين بل ينسبونها إليهم، وكذلك استخدامهم لآليات النقد الغربية للنصوص الأدبية وتنزيلها على نصوص الوحي،ومن جوانب التأثر القول بتاريخية القرآن وأنه كان صالحاً في زمن نزوله وأنه لم يعد صالحاً لهذا الزمن، ومن الجوانب كذلك ترددهم لفكرة أن القرآن هو

تلفيق من نصوص التوراة والإنجيل وبعض الديانات والحضارات السابقة، ثم عقدت المبحث الثاني في الجابري وموقفه من القرآن وتأثره بالمستشرقين، وبينت لماذا هو من الأهمية بمكان دون غيره، وجعلت المطلب الأول حول مشروع الجابري الفكري بشكل إجمالي ثم ذكرت في المطلب الثاني موقف الجابري من القرآن من خلال كتابه مدخل إلى القرآن الكريم وبيان تأثره بالمستشرقين في تقريراته حول القرآن الكريم.،جعلت المطلب الثالث في دراسة أثر الاستشراق على موقف الجابري من القرآن، وختمت البحث ببعض النتائج والتوصيات ومن أبرزها:أهمية دراسة جهود المفكرين العرب المتأثرين بالاستشراق وخاصة دراساتهم حول القرآن ومن أكثر هؤلاء تـــأثيراً هو الجابري، وبينت وجه تطابق الجابري مع المستشرقين في طريقة بحثه من الناحية المنهجية، وبينت ماخالف فيه الاستشراق.أ.هـــ

كلمات مفتاحية للبحث:الاستشراق، الفكر، المعاصر، الجابري، القرآن الكريم، مدخل.

Orientalism and its Impact on the Contemporary Arabic Intellect: Dr. Mohammed Abed Al-Jabri as a Model in His Book "An Introduction to the Quran"

Keywords: Orientalism, Intellect, Contemporary, Quran, Introduction.

Abstract

The research contains a selected definition of orientalism, trying to explore its countenance and motivations. Then, an overall definition is given to the British, German, French, and Spanish forms of orientalism with examples of some orientalist figures. After that, the first part of the research examined "Quran and orientalism," with a preface on the Quran's profound effect on belief and thought. Followed by a preamble to the difference between ancient and contemporary orientalism. Subsequently, an investigation of three topics is introduced. Firstly, the orientalism and its distrusting of Quran, summarizing the orientalist methodology and techniques by tackling their efforts in the field of translation, the ovation of the atypical readings and narration, their allegation of the Quran's verses lack of chronological order and the unsuitability among the Quran verses and chapters, denying the illiteracy of the prophet Mohammed, and their suspicion of the revelation's divinity. Secondly, it shows the efforts of Arabic seculars thinkers and the influence of orientalists upon them. Thirdly, a comparison study that explores the second topic, by showing how Arabic thinkers declared the orientalists' profound influence on them, in addition to their praising of orientalists' efforts. Moreover, the research exposes the adaptation of orientalists' allegations by Arabic thinkers, such as the claim that the Quran is a purely human book. Also, it sheds light on Arab thinkers' plagiarisms, and how they attribute the stolen texts and ideas to themselves.

Furthermore, it discusses how the Arab thinkers apply the western mechanisms of literary criticism on the Quranic texts. Another example that demonstrates the impact of orientalism on Arabic thinkers is the embracing of Quran historicity view, which limits the Quran appropriateness to the time of revelation, but not in the present-days. Additionally, their repetition of the idea that the Quran is a fabrication from the Torah, Gospel, and other texts from previous religions and civilizations. The second part of the research explores Al-Jabri's position on the Quran and the impact of orientalists upon him, along with showing the reason for his particular importance. It begins with taking a general look on Al-Jabri's intellectual project. Then, it presents his position on the Quran by investigating his book "An Introduction to the Quran," which demonstrates the orientalists' impact on his accounts of the Quran. Also, it ends with a comparison study to elucidate the orientalism consequence upon Al-Jabri's stance of Quran. In the end, the research concluded with some recommendations, most notably: the importance of studying the Arabic thinkers' endeavors which have been influenced by orientalism, especially their studies about Quran, where Al-Jabri's is one of the most influential works done in this regard because of his calm tone, yet he transmits the suspicion following the orientalists style accompanied with a selective bias research in the Muslim heritage, that intersect with the orientalist objective.

المقدمة:

الحمدلله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين،أما بعد:فإن من أعظم النعم على هذه الأمة هو هذا القرآن الكريم الذي جعله الله هدىً وبياناً ورحمةً، وكذلك الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الآمانة وأدى الرساله، ومن نعم القرآن والسنة أنهما حصن للأمة عبر العصور من كل موجات التحريف والتلبيس لمن تمسك بهما وعرفهما حق المعرفة، وهما سر قوة هذه الأمة في جانبها العلمي والعملي، وقد أدرك أعداء الإسلام هذه القضية منذ القرن الأول وبدأت محاولات النيل من هذين المصدرين، من اليهود والنصارى ومن تأثر بهما من الطوائف التي انتسبت إلى الإسلام، من المتفلسفة والمتكلمة والمتصوفة على اختلاف مشاربهم وطرقهم، وقد كتبوا وأصلوا كل ما يخالف هذين المصدرين، وكل ما يسقط مرجعيتهما عند المسلمين، ولما جاء الاستعمار الثقافي المتمثل بالاستشراق ومدارسه، كان النصيب الأوفى من جهودهم مركزاً على الدرسات حول القرآن والسنة ،وإن من أعظم الواجبات وأجل القربات هو الدفاع عنهما بالعلم وبالفهم الصحيح لهما كما فهمه الصحابة و السلف رضوان الله عليهم،وبغير العلم بالكتاب والسنة لن تكشف أباطيلهم وتلبيساتهم ومكرهم، ورحم الله شيخ الإسلام حينما قال:" إِذَا تَدَبَّرَ الْمُؤْمِنُ الْعَلِيمُ سَائِرَ مَقَالَاتِ الْفَلَاسِفَةِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْأُمَمِ الَّتِي فِيهَا ضَلَالٌ وَكُفْرٌ وَجَدَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ كَاشِفَيْنِ لِأَحْوَالِهِمْ مُبَيِّنَيْنِ لِحَقِّهِمْ مُمَيِّزَيْنِ بَيْنَ حَقِّ ذَلِكَ وَبَاطِلِهِ".[1]،وكان لهذه المدارس المنحرفة سواء مدارس الفلاسفة والمتكلمين أو مدارس الاستشراق طلاب مخلصون تربوا على هذه الدراسات والأبحاث حتى فاقوا أساتذتهم في هذه المناهج،ومن بين هذه الكتب كتاب " مدخل إلى القرآن الكريم، الجزء الأول:في التعريف بالقرآن الكريم "[(٣)] للمفكر المغربي: د. محمد عابد الجابري[(٢)]، وهذا البحث لن يناقش مسائل الكتاب والرد عليها، ولكنه يهدف إلى بيان تأثر الجابري كمفكر عربي بالاستشراق في أطروحته هذه

---

١ ابن تيمية "مجموع الفتاوى " ١٣٧/٤

(٢) محمد عابد الجابري:"مدخل إلى القرآن الكريم –الجزء الأول –في التعريف بالقرآن الكريم "،(ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م).

(٣) محمد عابد الجابري: كاتب مفكر مغربي معاصر, ولد بالمغرب عام ١٩٣٥م، وحصل على دبلوم الدراسات العليا في الفلسفة عام ١٩٦٧، وعلى دكتوراه الدولة في الفلسفة عام ١٩٧٠م من كلية الآداب بالرباط, وعمل أستاذاً للفلسفة والفكر العربي الإسلامي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط,.انظر: د.محمد عابدالجابري،"حفريات في الذاكرة من بعيد"،(مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٧م)، ص٢١-٨٠.

حول القرآن ــ ولا يمكن حصر كل ما في الكتاب ولكن على وجه الإجمال وبيان بعض الأمثلة من الكتاب. وقد قسمت البحث إلى:

مقدمة، وتمهيد ومبحثين، والمقدمة تشتمل على : أهمية الموضوع، والدراسات السابقة، ومنهج كتابة البحث،والتمهيد يشتمل على: تعريف الاستشراق، وأهم ملامح الاستشراق، وأهدافه وتعريف إجمالي بالاستشراق الألماني والبريطاني والفرنسي والإسباني.

المبحث الأول:الاستشراق والقرآن ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:الاستشراق والتشكيك في القرآن.

المطلب الثاني: التيار العلماني والتشكيك في القرآن.

المطلب الثالث:أثر الاستشراق على الفكر العلماني حول القرآن –دراسة مقارنة–.

المبحث الثاني:الجابري وموقفه من القرآن وتأثره بالاستشراق: ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:الجابري ومشروعه الفكري على وجه الإجمال.

المطلب الثاني: موقف الجابري من القرآن من خلال كتاب المدخل إلى القرآن وتأثره بالاستشراق.

المطلب الثالث: بيان أثر الأستشراق على موقف الجابري من القرآن –دراسة مقارنة :

ثم الخاتمة وأهم التوصيات.

١–أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

أ–أن هذا الموضوع فيه دفاع عن القرآن الكريم الذي هو أقدس المقدسات في دين الإسلام وهو مصدر التشريع وهو كلام رب العالمين.

ب–تركيز الدراسات المعاصرة من قبل المستشرقين وتلامذتهم من العرب على القرآن وإثارة الشبهات والشكوك حوله فكانت هذه الدراسة مساهمة في بيان الخطأ والخلل في هذه الدراسات وأنها امتداد للاستشراق وجهوده حول القرآن الكريم.

ج–أن الكاتب له تأثيره الواسع في الساحة الثقافية العربية، وهو واسع الثقافة والاطلاع لكن من غير تحقيق وعدم عناية بعلوم الكتاب والسنة وبمنهج أهل السنة الذي له أصوله ومصادره ومنهجه في التراث.فوقع في أخطاء علمية وتأثر بالاستشراق وتقاطع مع أهدافه سواء كان بقصد أو بغير قصد.

دــ –قلة الدراسات التي تبين وتكشف تأثر هؤلاء بالمستشرقين، والتي كان لدراساتهم أثر سلبي على الساحة العلمية الشرعية وخاصة الدراسات حول االقرآن الكريم.

٢-الدراسات السابقة حول الموضوع:

الدراسة الأولى: "الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرأن الكريم " رؤية نقدية[١]

ومما يبين عدم مطابقته للبحث الذي نحن بصدده -وإن كان العنوان قد يوحي بذلك عدة أمور:

١-أن الباحثين صرحوا بأن غرضهم من الكتاب الرد على الأخطاء العلمية التي جانب فيها المصنف الصواب، وهذا مخالف لهدف البحث الذي نحن بصدده فنحن هنا لا نناقش أخطاء المؤلف ولا نرد عليها رداً علمياً وإنما هدف البحث هو **بيان تأثر الجابري بأطروحات المستشرقين** بل وسرقته منهم وبيان أنه تابع مقلد لهم في الطعن في القرآن.

وقد نص على هذا الباحثان بقولهم في المقدمة:"لقد حرصنا على تنبيه القاريء إلى الأخطاء والتحريفات التي تضمنها كتاب:د.محمد عابد الجابري وتحذيره من الشبهات البالية التي أعاد إثارتها وذلك بأن بينا وجه الصواب في كل واحدة منها"أ.هـ[٢]

٢- عقد الباحثان في آخر الكتاب عدة ملاحق فيها مبحثان يخصان المستشرقين:

الأول: الملحق رقم ٣ بعنوان (أقوال المستشرقين) [٣]، وسردا فيه أقوال المستشرقين المنصفين الذين نصروا القرآن وتكلموا فيها بعدل وحق، ولاشك أن هذا لا علاقة له ببحثنا الذي يبحث في موافقة الجابري للمستشرقين في الطعن في القرآن لا الذين أنصفوا أنفسهم بالعدل معه.

الثاني:الملحق رقم ٤بعنوان (أعلام المستشرقين) [٤] وهذا فيه تراجم مختصرة لأبرز المستشرقين ولا علاقة له بموضوع البحث

الدراسة الثانية: بعنوان (أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند (إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبدالله العروي) [٥]

---

(١) عبدالسلام البكاري و الصديق بوعلام،"الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم "(ط١، الرباط:الدار العربية للعلوم،١٤٣٠هـ)ا.

(٢)البكاري ؛بوعلام" الشبه الاستشراقية" ص١٢

(٣) المصدر السابق:ص٣٤١-٤٥١.

(٤) المصدر السابق: ص٣٥٣-ص٣٦٦.

(٥) د.نديم نجدي،"أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند (إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبدالله العروي)، (ط١،الفارابي،٢٠٠٥م)

وهذا الكتاب لا علاقة له بالبحث من وجهين:

١-أنه يدرس أثر الاستشراق في الفكر العربي في ثلاثة باحثين وليس من ضمنهم الجابري.

٢-أن البحث لم يتطرق لكتاب المدخل الذي هو محل الدراسة.

الدراسة الثالثة: الاتجاه العِلماني المُعاصِر في عُلوم القرآن الكَريم-الجابِري أُنموذجاً- د. سامي عطا

بحث يتكون من ٤١صفحة، وهو بحث في جامعة آل البيت -المفرق -المملكة الأردنية الهاشمية

وهو من مقدمة ومبحثين: المقدمة تعريف بالجابري، والمبحث الأول خصه لمعالجة مسألة ترتيب القرآن ؛ آياته وسوره بحسب النزول، أراء العلماء ثم أقوال الجابري والمستشرقين، أما المبحث الثاني فتناول في ثلاث مطالب الأول في ميراث المرأة ويرى الجابري المساواة مع الرجل، والثاني في قول الجابري بالنقص والزيادة في القرآن، والثالث نقاش الجابري في أمية لنبي صلى الله عليه وسلم،وهو بحث مختصر وتشعب في قضايا لا علاقة لها ببحثنا ولم يورد كل مافي الكتاب ومواضع تأثر الجابري بالمستشرقين بل أطنب في ذكر مناقشة المسائل.

الدراسة الرابعة:فهم آليات الخطاب الديني عند الجابري -مدخل إلى القرآن الكريم نموذجاً-للباحثة فتيحة ذيب، في الجزائر -جامعة محمد لمين دباغين-سطيف٢.، وهي أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في ٢٣٦صفحة، وقدمت في -كلية اللغات والآداب -تخصص النقد الأدبي،والباحثة ركزت على المناقشة العلمية للقضايا التي طرحها الجابري ولم تتعرض بدقة للمناهج التي استخدمها الجابري مع في كتابه ومتابعته للمستشرقين وأشارت فقط في متابعة الجابري للمستشرقين في قضية ترتيب القرآن الزمني .

الدراسة الخامسة: تأثر المفكرين العرب بالدراسات الاستشراقية في مجال الدراسات القرآنية:الجابري نموذجاً للباحث:خالد أو خراز(بحث منشور في مجلة الحوار المتوسطي -عدد١١ بتاريخ ١٢مارس -٢٠١٦م)،والبحث في ٢٥ صفحة فقط، والبحث جداً مختصر اختصاراً مخلاً ولا يتطابق مع العنوان الكبير الذي ذكره، وتحدث عن مناهج المتشرقين باختصار جداً ثم لما جاء ذكر الجابري أشار باختصار إلى منهج التشكيك والانتقاء عنده ثم ذكر أمثلة مختصرة والبحث جيد لولا شدة اختصاره وعدم شمول بحثه لكتاب الجابري مدخل إلى القرآن الكريم.

الدراسة السادسة: المعجزة القرآنية في فكر الجابري –**دراسة تحليلية** –للباحث جمال الدين عبدالعزيز شريف،البحث في ٣٠صفحة وهو بحث منشور في (مجلة إسلامية المعرفة –السنة السابعة عشر العدد٦٦–١٤٣٢ه)، والبحث اقتصر على جانب المعجزات وذكر موقف الجابري وناقشه ولم يذكر المسائل الأخرى ولا مناهج الجابري التي تأثر بها بالمستشرقين ولا المسائل الأخرى ولهذا فهو لايتطابق مع بحثنا.

الدراسة السابعة: رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم للدكتور محمد عمارة – نشر دار السلام، والبحث يقع في ٢٠٧ صفحة، والكتاب ناقش المسائل التي طرحها الجابري من منظور علمي، ورد على ما أخطأ فيه دون التعرض لتأثره بالاستشراق ولا التعرض للمناهج الاستشراقية التي تأثر بها.

منهج كتابة البحث:

كتبت البحث وفق المنهج الاستقرائي ثم التحليلي، واستقرأت ما كتبه الجابري، وماكتبه المستشرقون في هذه المباحث ثم حللت هذه المعلومات وبينت تأثره بهم في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم " في المنهج والمسائل المتفرعة عنه، والتزمت الموضوعية في البحث فلا أورد شيئاً إلا من كلام الجابري نفسه وأبين موضع النقل بالإحالة عليه، وبيان وجه تأثر الجابري بالاستشراق من خلال مصادر المستشرقين ما أمكن.

التمهيد:

تعريف الاستشراق [١]:

للاستشراق تعريفات متعددة، كتبها الباحثون المتخصصون وكلٌّ واحد نظر إلى زاوية معينة، فمنهم من نظر إلى: الناحية الأكاديمية البحثية البحتة، ومنهم من نظر إلى:أهدافه، ومنهم من نظر إلى: حقيقته وحالته التي هو عليها.[٢] ويمكن أن نلخصه بأنه:" الدراسات والأبحاث في موضوعات خاصة بالشرق، بأسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق " وبين ما يسمى في معظم الأحيان "الغرب للهيمنة على الشرق وإعادة بنائه والتسلط عليه" [٣]

أهم ملامح الاستشراق العامة :

١-الاستشراق تزامن مع رغبة الغرب في الاستعمار والسيطرة على الشرق والعالم الإسلامي فكان الاستشراق كالطلائع والاستكشاف للاستعمار العسكري، ومعرفة نقاط القوة والضعف في العالم الإسلامي[٤].

٢-كان السبق والإعداد لبريطانيا وفرنسا على وجه الخصوص في دراسات الاستشراق ومعرفة ثقافة العالم الإسلامي وعلومه والكتابة فيه [٥].

٣-الاستشراق حقيقته وقيمته الكبرى كونه دليلا على السيطرة الغربية على الشرق أكثر من كونه خطابا صادقا حول الشرق والإسلام وعلومه ورموزه.

٤-لم ينفك الاستشراق عن خلفيته الدينية والتعصب لذلك، واستخدام العلم لبيان تفوق المراجع الدينية لديهم على الإسلام و علومه بطرق كثيرة[٦]

---

(١) مراجع في تعريف الاستشراق كثيرة يمكن الإشارة لأهمها:

-إدوارد سعيد،"الاستشراق "ترجمة: محمد عناني(ط.دار رؤية ٢٠٠٨م).

-رياض العمري،"مناهج ا لمستشرقين ومـوقفهم مـن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم -عـرض ونقـد – فـي ضـوء العقيـدة الإسلامية"،(ط١،مركز التاصيل للدراسات والأبحاث،١٤٣٦هـ)١: ٢٢-٢٧.

- د. علي النملة" كنه الاستشراق: المفهوم- الأهداف – الارتباطات"،(ط٣،بيسان، ١٤٣٢هـ)،ص١٧

(٢) ولهذا عد بعض الباحثين أن مفهوم الاستشراق غير واضح المعالم عند كثير من المفكرين،انظر:النملة،"كنه الاستشراق: د. علي النملة ص١٧؛ نجدي:"أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر" ص٩.

(٣)إدوارد سعيد: " الاستشراق "ص٤٤-٤٦ بتصرف واختصار

(٤)صلاح الجابري:" الاستشراق قراءة نقدية"(ط١،دار الأوائل،٢٠٠٩م)، ص١٠١-١٠٢

(٥) ادوارد سعيد:"الاستشراق"، ص٤٧، ٦٥.

(٦) المصدر السابق.

٦-الاستشراق كان يعبر عن الشرق والعالم الإسلامي وعن ثقافته وتاريخ وعلومه ليس كما هو الواقع بل بما هو يريد وبتأثير النظرة الدونية لعلوم الشرق وثقافته[١].

٧- كثافة الأبحاث وتشعبها ودقتها ودقة نقلها للمعلومات لا تخطئه عين الباحث والمتصفح للنتاج الاستشراقي، وفي بعض الأحيان كانت فيها فائدة استفاد منها الباحثون.

٨-عرف الاستشراق مفاصل القوة في الثقافة الإسلامية في مصادرها وهي الكتاب والسنة،وفي الغالب جهدهم منصب على التشكيك ومحاولة الطعن في صحة النبوة والوحي.

أهداف الاستشراق على وجه الإجمال[٢]

-**الدافع العقدي (الديني)**:لا يحتاج الباحث إلى كبير عناء ليصل إلى هذه النتيجة فغالب الأبحاث التي قام بها مستشرقون نصارى متعصبون، تتركز في التشكيك في الإسلام ومصادره وأن المسيحية هي الحق وهي المتوافقة مع العلم، وأن الإسلام استفاد منها ومن مصادرها (التوارة والإنجيل)،وتركز هجومهم على القرآن وعلى نبي الإسلام،[٣]

٢-الهدف الاستعماري:

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيِّين، وهي في ظاهرها حروب دينية، وفي حقيقتها حروب استعمارية، لم ييأس الغَرْبِيُّونَ من العودة إلى احتلال بلاد الإسلام، فاتَّجهوا إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها، من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ؛ ليتعرَّفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها، وإلى مواطن الضعف فيغتنموها، كان من دوافع تشجيع الاستشراق: إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وبث الوهن والارتباك في تفكيرنا.

٤-الدافع العلمي:

ومن المُسْتَشْرِقِينَ نفر قليل جِدًّا: أقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم

---

(١) خوان غويتسولو:" في الاستشراق الأسباني"،ترجمة: كاظم جهاد، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ص١٥٥.

(٢) انظر: د. مصطفى السباعي:" الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم"(ط. دار الوراق والمكتب الإسلامي (بدون تاريخ) ص٢٠-ص٢٥؛ نجيب العقيقي:"المستشرقون"(ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م)، ص١٢٠، ص ١٣٧؛ العمري:"مناهج المستشرقين وموقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم" ١/ ٣٩-٤٨.

(٣) توملين:"فلاسفة الشرق": ترجمة عبدالحليم سليم(القاهرة، ط.دار المعارف ا) ص١٦٨؛وانظر: محمود حمدي زقزوق:"الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري"،(ط١،القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩هـ)، ص٧٢.

الإسلام وتراثه ؛ لأنهم لم يكونوا يتعمَّدون الدَسَّ والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق، وإلى المنهج العملي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة إلى المُسْتَشْرِقِينَ، بل إنَّ منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته.

وسائل الاستشراق (على وجه الإجمال) [1]:

اعتمد المستشرقون في نشر دراساتهم وأبحاثهم وثقافتهم التي يريدون بثها في صفوف الغربيين لصدهم عن الإسلام، وصدهم عن التعرف عليه كما هو من غير تشويه ولا تحريف، وتشكيك أبناء المسلمين بدينهم وعقيدتهم ومصادرهم على أساليب شتى:

١-إنشاء الكراسي العلمية وخاصة فيما يخص اللغة العربية في الجامعات الغربية.

٢-المكتبات العلمية في الجامعات والمعاهد.

٣-دوائر المعارف الإسلامية و الموسوعات.

٤-تحقيق المخطوطات والكتب العربية في شتى الفنون وإثبات قدمهم الراسخة في شتى العلوم حتى يكون لهم تأثير في الأوساط العلمية.

٥-المجلات والدوريات العلمية.

٦-التدريس في الجامعات الغربية و العربية.

٧-أقسام متخصصة في الجامعات الغربية لدراسة الشرق الأوسط.

٢-التعريف الإجمالي بـــــــ: ١- الاستشراق الإلماني،٢- الاستشراق البريطاني،٣- الاستشراق الفرنسي

٤- الاستشراق الإسباني .

١-الاستشراق الألماني

احتل الصدارة في بدايات القرن التاسع الهجري من ناحية البحوث والاهتمام بالشرق[2].

ويمكن أن نجمل الحديث عن الاستشراق الألماني فيما يلي:

١-الاهتمام بعلوم اللغة العربية والإسلامية وممن اشتهر بذلك المستشرق " ريسكه"[3] (١٧١٦-١٧٧٤م)، والذي تعلم العربية دون معرفة أحد. وقد اعتنى باللغة العربية

(١) نجيب العقيقي:"المستشرقون": ص١٠٠٨ وماقبلها ومابعدها، جاء بإحصاء للكراسي العلمية وأمثلة على غالب أساليبهم؛د. محسن السويسي:" مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها -تكوينها -أهدافها"رسالة دكتوراه. قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة عام ١٤١٩/ ١٩٩٨م تحت إشراف الدكتور حامد غنيم أبو سعيد؛ مناهج المستشرقين ومواقفهم من النبي ١/ ٤٩-٥٥

(٢)إدوارد سعيد" الاستشراق" ص٦٧.

٣ انظر: بدوي "موسوعة المستشرقين " ص٢٩٨.

وبالمعلقات وفهرس المخطوطات العربية في (ليدن) وترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية [١].

٢-ازدهرت الدراسات الاستشراقية في ألمانيا بعد "ريسكه" بفضل إنشاء كراس عديدة لتعليم اللغة العربية، وازدياد المكتبات الشرقية والتي اشتملت على آلاف المخطوطات والمؤلفات العربية، وظهرت مجلات ودوريات عن العلوم الإسلامية والعربية [٢].

٣-من أشهر المستشرقين الألمان الذين لهم صلة قوية بالدراسات القرآنية: " تيودور نيلد كه" [٣](١٨٣٦-١٩٣٠م)اشتهر بكتابه: نشوء وتركيب السور القرآنية، وكتاب: تاريخ القرآن[٤].

٤-مما يميز الدراسات الاستشراقية عند بعض الباحثين الألمان أنها دراسات موضوعية غير متعصبة، ويرجعون ذلك لأن ألمانيا لم تستعمر العالم الإسلامي [٥]. ولكن هذا الكلام صحيح في الأعم الأغلب، ولأن غالب الدراسات كانت تاريخية ولغوية، لكن يبقى في الدراسات الاستشراقية الألمانية وضوح الهدف الديني والنزعة الدينية وأيضا فإن الخلل في تطبيقها لآليات لدراسة الإسلام لا تراعي قدسية الوحي [٦].

٥-تتميز الدراسات الألمانية بالدقة والعمق والموسوعية [٧]، وتميز المستشرقون الألمان بالصبر والتفاني في أبحاثهم ودراساتهم وقد خدمت التراث الإسلامي كثيراً، ولعل من أبرز الأعمال التي يمكن أن يشار إليها:" تاريخ الأدب العربي" لـــ" كارل بروكلمان"[٨]

٢-الاستشراق البريطاني:

يمكن أن نجمل الحديث عن الاستشراق البريطاني فيما يلي:

١- بدأ الاهتمام بالدراسات الاستشراقية في وقت مبكر في بريطانيا عندما أسس كرسي للدراسات العربية في جامعة كامبريدج عام ١٦٣٢م،وتلا ذلك تأسيس كرسي آخر للعربية بجامعة أكسفورد عام " [٩].

---

(١)صلاح الدين المنجد: لمستشرقون الألمان(ط١، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨م)، ص ١٥-٢٤

(٢) ساسي سالم الحاج:"الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية "،(ط١،بيروت -لبنان،دار المدار الإسلامي،٢٠٠٢م)، ١٣١/١.

٣ انظر:بدوي "موسوعة المستشرقين "ص ٥٩٥.

(٤) العمري "مناهج المستشرقين" ١٧٧/١.

(٥) المنجد"المستشرقون الألمان": ص٧ ،د.علي النملة:"الاستشراق الألماني بين التميز والتحيز"(ط١،بيسان،٢٠١٨م) ص١٢٥-١٣١

(٦) الظاهرة الاستشراقية ١٣٤/١

(٧) النملة:"الاستشراق الألماني":ص ١٢٩.

(٨) العمري:"مناهج المستشرقين مواقفهم من النبي ١٨٢/١؛ وانظر ترجمة حافلة لكارل بروكلمان في موسوعة المستشرقين لبدوي ص٩٧.

(٩) العمري:" مناهج المستشرقين" ١/ ١٦٥-١٧٣؛ العقيقي:"المستشرقون "٨/٢.

٢-يتميز الاستشراق الإنجليزي بالتخصص، والدراسات النوعية [١].

٤-أبرز المستشرقين البريطانيين:

أ-توماس كارليل (١٧٩٥م-١٨٨١م): ويعتبر من المتعاطفين مع الإسلام ومع النبي صلى الله عليه وسلم ومن أوائل من كتب في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، في كتابه أسماه "الأبطال "، [٢].

ب-صموئيل مرجليوت(١٨٥٨م-١٩٤٠م):وكان من المتعصبين والحاقدين على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الإسلام، وبسبب تعصبه ابتعد عن الموضوعية في اطروحاته العلمية[٣].

ج-توماس وولكر أرنولد (١٨٦٤-١٩٣٠م): اشتهر بأنه من المعتدلين، ولكن عند الفحص والنظر العلمي فإن كتاباته تدل على أنه يشارك غيره من المستشرقين المتعصبين "[٤].

د_ مونتغمري وات(١٩٠٩م-٢٠٠٦م): أكبر دارس غربي في العصر الحديث وخاصة دراساته حول النبي صلى الله عليه وسلم، من أشهر كتبه: " محمد في مكة "و" محمد في المدينة"،"[٥].

هـ- سير هاملتون جب (١٨٥٧م-١٩٧١م): كان له اهتمام لغوي، وتاريخ وألف عدد من المؤلفات في تاريخ الإسلام، من أشهر كتبه " المحمدية "، وأعاد نشره بعنوان " الإسلام"، وقد احتفى بمؤلفاته الاستشراق الأمريكي الحديث [٦].

٣-الاستشراق الفرنسي:

ومما يميز الاستشراق الفرنسي[٧]:

١-كان له أثر كبير على الاستشراق الألماني، ذلك لأن كبار المستشرقين الألمان تتلمذوا على يد المستشرقين الفرنسيين.

---

(١) الحاج:"الظاهرة الاستشراقية" ١٢٩/١ ؛العمري:" ومناهج المستشرقين" ١٦٨/١.

(٢) العمري:" مناهج المستشرقين " ١٧٠/١.

(٣) د.عبدالرحمن بدوي:"موسوعة المستشرقين"(ط٣، بيروت -لبنان، دار العلم للملايين،١٩٩٣م)، ص٥٤٦؛العمري:" مناهج المستشرقين"١٧١/١,

(٤) العمري:"مناهج المستشرقين" ١٧١/١-١٧٢.

(٥) د. سليمان الجار الله ود. عبد الراضي محمد عبدالمحسن:"محمد صلى الله عله وسلم في أدبيات الفكر الغربي"،(الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٣١هـ)، ص١١٢

(٦) العمري:"مناهج المستشرقين" ١٧٢/١

(٧) المصدر السابق ١٨٦/١

٢-كان لجامعة السوربون -ذات الشهرة العالمية والمعروفة- أثر واضح في تنشيط الدراسات الشرقية.

٣-يعتبر معهد اللغات الشرقية الذي أسس عام ١٧٩٥م أهم مكان تربى وترعرع فيه الاستشراق الفرنسي.

٥-من أبرز المستشرقين الفرنسيين:

١-بولا نفلييه[١]: مؤرخ فرنسي من المستشرقين الذي يعتبر من أوائل من كتب بإنصاف عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كتابه " حياة محمد "

٢-فولتير: اسمه (فرانسوا ماري آرويه)،الفيلسوف والأديب الفرنسي المشهور، ألف روايته " محمد أو التعصب" وفيها تزييف لحقائق التاريخ وتشويه لصورة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهو بهذا يمثل تلك الحقبة المتعصبة التي كانت من الغرب ضد الإسلام، وإن كان فولتير تغيرت نظرته وكتب باعتدل في كتابه الأخر " بحث حول عادات وأخلاق الأمم "[٢].

٣-غوستاف لوبون (١٨٤١م-١٩٣١م): وهو من فلاسفة علم الاجتماع والمستشرقين المنصفين للحضارة الإسلامية والعربية إلى حد بعيد ؛ ظهر ذلك بوضوح في كتابه "حضارة العرب "، ومما يؤخذ عليه عدم تصوره التصور الصحيح لظاهرة الوحي والنبوة[٣].

٤-الاستشراق الإسباني[٤]:

لاشك أن الاستشراق الاسباني يعتبر من الأهمية بمكان لأمرين:

١-الحدث الكبير بسقوط الأندلس (أسبانيا) تحت سيطرة النصارى المتعصبين والحاقدين والذي كان له الأثر الكبير على مستوى العالم وبها تأثر المنصفون من الإسبان.

ومنهم حاقدون استمروا في الطعن والتشويه وتبرير محاكم التفتيش وطمس الهوية الإسلامية في أسبانيا.

---

(١) بدوي:"موسوعة المستشرقين" ص١٤٢

(٢) العمري:"مناهج المستشرقين"١٨٨/١؛ طرابيشي "معجم الفلاسفة " ص٤٧١.

(٣) المصدر السابق ١٩١/١

(٤) خوان غويتسولو:"في الاستشراق الإسباني"،(وهو من أفضل ما ألف حول الاستشراق الإسباني).

٢–من المواقف الإيجابية والتي تدل على أهمية العناية بالاستشراق الاسباني حفظ تراث المسلمين من المخطوطات التي كانت تحت سيطرة النصارى وقاموا بإخراجها وتحقيقها تحقيقاً علمياً.

أبرز المستشرقين الإسبان :

–**بالنثيا:** (١٨٨٩م–١٩٤٩م) [١]: اهتم بالفلسفة الإسلامية والعلوم ا لعربية، واجتهد كثيراً في فهرست المخطوطات والمحفوظات في المكتبات العلمية بأسبانيا وتولى مناصب كثيرة وقام بتحقيق عدد من الرسائل لعلماء المسلمين كرسالة (حي بن يقظان) لابن طفيل ، وكتاب (تقويم الذهن)لـــأبي الصلت،وكتاب (إحصاء العلوم) للفارابي.وغيرها من الكتب .واهتم بدراسة الاسبان النصارى الذين اعتنقوا الإسلام.ومن دراساته التي تدل على اعتداله وإنصافه (الإسلام والغرب –أثار إسلامية في الأخلاق الإسبانية).

٢–أسين بلاتيوس (١٨٧١م–١٩٤٤م) [٢]: وهو من الشخصيات التي اعتنت بالكتب والمخطوطات الإسلامية وكتب مقالات عن تأثر الإسبان والمسيحية بالثقافة الإسلامية في الأندلس، وكتب دراسات متعددة وثرية عن ابن حزم الأندلسي، وأبي حامد الغزالي، وابن عربي الصوفي، وتولى أكثر من كرسي يعنى بالدراسات العربية والإسلامية بجامعات أسبانيا.

وهناك متعصبون ينطلقون من منطلقات مسيحية عدائية للإسلام كما هو حال الاستشراق في الأعم الأغلب[٣].

(١) بدوي:"موسوعة المستشرقين"ص٧١.

(٢) المصدر السابق ص ١٢١

(٣) غوتيسولو:"في الاستشراق الأسباني" ص١٥٤؛الجابري:" الاستشراق قراءة نقدية " ص٩٦ ؛ العقيقي:"المستشرقون": ص١٢٠

المبحث الأول:الاستشراق والقرآن

التمهيد:

١- القرآن وأثره العميق في العقيدة والفكر:

ركز الاستشراق على تقديم مفهوم جديد عن الإسلام ومن أبرز ملامحه تبديل المصادر فلا يشترط أن يكون الكتاب والسنة مصدراً من مصادر الإسلام كما زعم بعضهم(١)، وهنا ظهرت أهمية القرآن الكريم في دراساتهم،لاشك أن من أعظم النعم على البشرية هذه الرسالة الخاتمة والتي امتن الله بها على الأمة الإسلامية، وجعل سر قوتها وسر تميزها هو الوحي المنزل على رسوله الكريم وهو القرآن الكريم، والذي كان معجزة الإسلام الخالدة عبر العصور، التي لم يستطع أحد أن يأتي بمثله ولا بعشر سور ولا بسورة منه كما جاء في التنزيل.،وأثر القرآن عميق كيف لا وهو كلام رب العالمين بألفاظه وحروفه ومعانيه من الله عزوجل كما هو اعتقاد سلف الأمة،وكان للقرآن سطوة على نفوس المسلمين ومحل احترام وتقدير وتقديس، وتسليم لنصوصه والعمل بها.وهذا سر اهتمام المستشرقين بالدراسات حوله لمحاولة إضعاف تأثيره.

٢- الاستشراق القديم والحديث:

إن الاستشراق القديم، وهو ما يؤرخ له بعد الحملات الصليبية وبعد فشلها باستخدام القوة العسكرية، وعلم الأوربيون أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم وعقيدتهم التي تدعوهم للجهاد والثبات وهزيمة أي معتدٍ عليهم؛ فكانت الحرب ثقافية فكرية فبدأت الحملات المسعورة من المثقفين الغربيين الذين اطلق عليهم(مستشرقون)، وكانوا مكشوفين وبطريقة واضحة بإظهار العداء والتشكيك والكذب والتزوير للتاريخ وطمس الحقائق وتحريفها إلا ما ندر.

جاءت المرحلة الثانية والتي تؤرخ بالاستشراق الأمريكي والهيمنة الأمريكية على العالم والتي أبرز ملامحها التلاقح والتقارب الفكري والثقافي بين المثقفين الغربيين وبين المثقفين العرب من المسلمين، وهذه المرحلة تظهر فيها الموضوعية وعدم التعصب والقدح في الإسلام ولكن تحاول تستخدم أدوات من داخل التراث الإسلامي للتشكيك وإدعاء التناقض وزعزعة الإيمان بهذه الشريعة ومصادرها وساعدهم بل سارع إليهم ثلة من المفكرين العرب (٢).

---

(١) د.علي النملة:"مصادر الاستشراق والمستشرقين ومصدريتهم"،(ط٢،بيروت،بيسان،١٤٣٢هـ)، ص٢٣.

(٢) فاضل الربيعي:"ما بعد الاستشراق"،(ط١،بيروت، مركز درسات الوحدة العربية،٢٠٠٨م)، ص ٨٥؛تركي الظفيري:"الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية"،(ط١،جدة، دار التأصيل)،ص ١٢٢

وقد يعزى هذا التطور الجديد في مفهوم الاستشراق الجديد، إلى:" إن الاستشراق في النهاية خاضع في نشأته وتطوره ومناهجه وتصوراته إلى ما يحدث في الغرب من تطور العلوم ومناهجها، وكما كان الاستشراق القديم جزءًا من تاريخ الغرب وتطبيقًا لمناهجه التاريخية الوضعية، فإن الاستشراق الجديد القائم على الفهم والتأويل أيضًا جزء من الثقافة الغربية في دورها الجديد، وامتداد للمناهج المركزة على موضوعات المحيط"(١).

المطلب الأول:الاستشراق والتشكيك في القرآن:

اهتمت الدراسات الاستشراقية كما تقدم معنا بالقرآن لمركزية القرآن بالنسبة للمسلمين وهي محل اجماع من حيث القداسة ومن حيث المصدرية في التشريع،ولهذا تنوعت أساليب الاستشراق في التشكيك بالقرآن يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- **في مجال ترجمة القرآن:** وماتبعها من مغالطات لغوية تغير المعنى وتحرف الأصل العقدي الذي يشير إليه القرآن، وكان سبب ذلك إما لضعف لغتهم، وفي الأعم الأغلب قصداً حتى لايظهر عوار عقيدتهم المحرفة والتي فندها القرآن الكريم(٢).

٢- **إبراز القراءات والروايات الشاذة في القرآن:**التي قد يجدها الباحث في كتب علوم القرآن أو كتب المصاحف بهدف التشكيك في سلامة النص القرآني(٣)

٣- **ادعاؤهم بأن القرآن غير مرتب زمنياً وأنه لا تناسق بين سوره وآياته:**

يقول المستشرق بلاشير٤:" وفي البدء تظهر مشكلة إعادة ترتيب النصوص القرآنية، لأن السور في الترتيب العثماني تبدوا مرتبة إجمالاً، على العكس من تاريخ تلقي الوحي، ومن ناحية أخرى وفي معظم الحالات تقريباً فإن السور لا تشكل مجموعات متناسقة بل من آيات يجمعها موضوع أساسي واحد، وهذه الطريقة في تشكيل السور تعود كما يبدوا إلى محمد نفسه، وكان من نتائجها التشويش الذي لا يمكن معالجته على

---

(١) عبدالله الوهيبي:"حول الاستشراق الجديد"،(ط١،الرياض، البيان –مركز البحوث والدراسات،١٤٣٥هـ)، ص ٩٩.

(٢)محمد شيخاني:" المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن الكريم"،(ط١،الندوة العالمية حول ترجمات القرآن الكريم، ١٩٨٦م)،: ١٣٨-١٤٧.

(٣) العمري:" مناهج المستشرقين" ٣٤٩/١-٣٥٠.

٤ بلاشير: ريجي بلاشير ولد في باريس عام ١٩٠٠م، رحل مع والديه إلى المغرب عام ١٩١٥م ودرس بها حتى أنهى الثانوية ثم رحل إلى الجزائر وأكمل الجامعة ثم حصل على الدكتوراه من باريس في أطروحات حول العربية والشعر العربي ثم عين في مناصب علمية كبيرة في السوربون وغيرها له العديد من الأبحاث ومن أشهر ترجمة القرآن للفرنسية وترتيب القرآن على حسب النزول وليس على حسب ماهو معروف كانت وفاته عام١٩٧٣م، انظر: بدوي "موسوعة المستشرقين " ص١٢٧.

الترتيب الزمني للنصوص وبالتالي حساسية عملية تاريخ الملامح المعتبرة التي تحتويها..ليس هذا فقط ؛ بل إن هذا المصدر لا يحتوي على أي معلومات من حياة محمد قبل الوحي إليه، ولا أي خبر تقريباً عن الهجرة إلى المدينة، ولا يحتوي أخيراً على أي شيء عن آخر لحظات من كان يقدم نفسه على أنه خاتم الأنبياء "[١]

ولعل من أهداف المستشرقين في ترتيب القرآن زمنيا، زعمهم أن القرآن خلا من تفاصيل سيرته وأحداث حياته التفصيلية [٢]، ولهذا قام أحد المستشرقين ويدعى "موير"[٣] بترتيب سوره ترتيباً زمنياً بحسب أحداث السيرة ونتج عن ذلك تحديده مراحل الدعوة إلى ست مراحل خمس منها مكية والأخيرة مدنية[٤].

٤- نفي" أُميّة" النبي صلى الله عليه وسلم:

ليتوصلوا بها إلى أن النبي كان يقرأ ويكتب، وعليه فإن هذا القرآن من تأليفه ومن عنده وليس من عند الله، ومن أبرز من نص عليها المستشرق الإنجليزي مونتغمري وات[٥]، وهذه القضية تقودنا إلى:

٥- التشكيك في ألوهية القرآن والتأكيد على بشرية النص القرآني:

وقد أكثر المستشرقون من طرح هذه القضية وأن القرآن نتاج بشري صرف، وتلقف هذه الفرية عنهم كثير من المفكرين العلمانيين العرب، وبحثوا وفتشوا ما يعضد دعواهم في عقائد الفرق الإسلامية كالمعتزلة التي تقول بخلق القرآن[٦].

---

(١) المصدر السابق: ١/٣٥٧-٣٥٨؛ وانظر: بدوي "موسوعة المستشرقين "ص٦٢.

(٢) المصدر السابق ١/٣٥٥-٣٥٨

٣ موير: مستشرق ومبشر وموظف إداري لدى الحكومة البريطانية في الهند أثناء الاستعمار تقلد مناصب كبيرة في الخارجية لدى الحكومة الهندية، عني باللغة العربية والتاريخ الإسلامي، وكان شديد التعصب للمسيحية، واشتغل بالتبشير في الهند أثناء عمله في الهند، من أشهر كتبه التبشيرية (شهادة القرآن على الكتب اليهودية والمسيحية)يدعي فيها أن القرآن شهد بصحة الديانة اليهودية والمسيحية،وكتبه كلها فيها تعصب شديد ضد الإسلام كانت وفاته عام ١٩٠٥م، انظر: بدوي "موسوعة المستشرقين"ص٥٧٨

(٤) المصدر السابق ١/ ٣٥٨.

(٥)د.ظافر شرقة:"النسق المضمر في القراءة العلمانية لآراء ابن رشد في الوحي والتأويل "، (ط١، الرياض، دار الوعي، ١٤٣٨هـ)، ص ١١٠.

(٦) للاستزادة في بيان تبني التيار العلماني لأطروحة المعتزلة وهي أن القرآن مخلوق، ويطلقون على هذا الاعتقاد الفاسد (بشرية القرآن) ـو (أنسنة الوحي) أنظر: أركون "قضايا في نقد العقل الديني "ص٢٧٩؛ وكتابه " القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني" ص٢٤، وكتابه " الفكر الإسلامي قراءة علمية " ص٨٢؛ أدونيس "الثابت والمتحول"-القسم الثاني "الإبداع أو التحول " ص٩٤؛ نصر أبو زيد "مفهوم النص"ص٤٢-٤٥؛ العشماوي "حصاد العقل" ص٨٩

المطلب الثاني: التيار العلماني والتشكيك في القرآن:

ظهر أثر الاستشراق في بعض أبناء المسلمين وتبعوا مناهجه وتأثروا به تشكيكاً وزعزعة لثوابت الإسلام ومصادره وتشويه حقيقته، والاستشراق استفاد من هؤلاء الذين هم أقرب إلى اللغة وإلى حياة المسلمين وثقافتهم، فهذه المنفعة متبادلة،وهؤلاء المتأثرين بالاستشراق من المفكرين العرب يمكن أن نجعلهم على فئتين:الفئة الأولى: التي صرحت بوجوب الأخذ بالمنهج الغربي بكل علله وآفاته والانسلاخ من الهوية الإسلامية والتنكر للمرجعية الإسلامية.

والفئة الثانية: وهي أشد ذكاءً وأكثر تأثيراً وهي التي تأثرت بالاستشراق وحاولت أن تجمل صورته وتتعاون معه في البحث والتنقيب في التراث مما يخدم رؤية الاستشراق سواء كان بقصد أو غير قصد ونشر التشكيك وإظهار التناقض وإحياء الأقوال الشاذة والمنبوذة في علوم الإسلام من الطوائف المخالفة والمنحرفة، ولعل الجابري يندرج مع هذه الفئة كما سيظهر من خلال البحث(١).

وكان الهدف من الاستعانة والاستفادة من النخب العربية لما لهم من قبول في المجتمعات والمراكز العلمية والجامعات العربية أكثر من النخب الاستشراقية التي يدرك الباحثون والمفكرون عدائهم وأهدافهم ضد الإسلام والمسلمين (٢).

المطلب الثالث:أثر الاستشراق على الفكر العلماني حول القرآن–دراسة مقارنة:

يمكن أن نجمل مجال التأثر المتبادل بين الاستشراق والتيار العلماني في الفكر العربي على وجه الإجمال بذكر أمثلة مختصرة لعلها تعطي لمحة عن هذا التأثر وليس المقصود هو التفصيل والتوسع:

١–**تصريح عدد منهم بالاستفادة من المستشرقين** ؛ بل يعدون أنفسهم من المستشرقين الجدد، يقول أركون:" أقول ذلك وأنا أفكر بالطبع بانتقادات بعض زملائي المستشرقين لكتاباتي، فهم لا يستطيعون –أو لا يريدون– أن يستوعبوا المنظور النقدي الجديد الذي أنطلق منه عادة. إنه منظور يتجاوز منظور الاستشراق الكلاسيكي بعد أن يهضم أفضل ما فيه. وقد أصبح فلاسفة أوروبا الطليعيون يتبنونه، في حين أن جل المستشرقين يرفضون حتى الآن أن يخرجوا من منظورهم الضيق لكي يطلعوا عليه"(٣)

---

(١) د.حسن حنفي:" مقدمة في علم الاستغراب"،(ط١، القاهرة، الدار الفنية،١٤١١هـ)،ص ٧٣

(٢)د. عبد الراضي عبدالمحسن:" ماذا يريد الغرب من القرآن "،(ط١، الرياض،مجلة البيان،١٤٢٧هـ)، ص ١٤١.

(٣)محمد أركون:" قضايا في نقد العقل الديني لأركون"ترجمة: هاشم صالح،(ط دار الطليعة) ص ١٨٦.

٢-تصريحهم بالثناء على المستشرقين في دراساتهم وأبحاثهم:

يقول أركون-متنياً على بعض المستشرقين:" كانا قد شقا الطريق أمام هذه البحوث الريادية التي لا بد منها،ولكن هناك تأخراً مريعاً في الجهة الإسلامية عربية كانت أم غير عربية، فالبحوث العلمية الجادة عن القرآن والتراث الإسلامي بمجمله شبه معدومة في الجامعات العربية على عكس الجهة الغربية أو الاستشراقية "[١]

ويقول أيضاً:"إن تقدم الدراسات القرآنية قد تم بفضل التبحر الأكاديمي الاستشراقي منذ القرن التاسع عشر "[٢]، فأركون لم يرفع رأساً بالدراسات القرآنية عند علماء المسلمين التي طبقت الأرض والتي كتبت من قبل ظهور الإستشراق وبعده،ــ وهل الاستشراق إلا عالة على بحوث وكتابات المسلمين في الدراسات القرآنية.

٣-أبرز ملامح هذا التأثر هو تكرار سقيم لمقولاتهم وتبني آراءهم دون الإشارة إليها:

زاعمين أنها من إبداعاتهم الفكرية [٣].

وقد وقع الجابري في مثل هذا الأمر وأكثر الاقتباس والنقل المطول دون إشارة إلى تلك المراجع عربية أو غربية، وأحياناً بلغت الاستفادة منهم حد إعادة عرض أفكارهم وأطروحاتهم في كتبه ولكن مجردة من أسمائهم، ولقد اتخذ التجاهل ذلك صوراً مختلفة:

١-من الإحجام عن ذكر مساهماتهم في متن الكتابة إلى:.

٢- الإعراض عن الإحالة إلى أعمالهم إلى:

٣-عدم إثبات النقول منهم في مواطنها في النص إلى:

٤- الإيحاء بإن الباحث يدشن قولاً جديداً في مسألة مطروقة "[٤] .

٤-استخدام آليات نقدية لنصوص القرآن حداثية وغربية استخدمها المستشرقون:

يقول أركون:" المنهجيات التي أطبقها على التراث العربي الإسلامي هي المنهجيات نفسها التي يطبقها علماء فرنسا على تراثهم اللاتيني المسيحي الأوربي"[٥].

---

(١)محمد أركون،" الهوامل والشوامل حول الإسلام المعاصر"(ط١،الطليعة،٢٠١٠م)، ص١٦٠.

(٢)محمد أركون،" الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"(ط٢، دار الساقي،٢٠٠٢م)، ص٧٠

(٣) انظر: إبراهيم السكران،"التأويل الحداثي"،(ط١، الرياض، دار الحضارة، ١٤٣٥هـ)ص٢٤٨ومابعدها في بيان سرقة المفكر (فهمي جدعان) صاحب كتاب المحنة، والجابري سرق كلام فهمي جدعان المسروق ونسبه لنفسه أيضاً انظر: عبدالإله بلقزيز،"نقد التراث"،(ط٢،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية،٢٠١٦م)،ص ٣٥٦,

(٤) بلقزيز "نقد التراث " ص٣٥٦.

(٥)محمد أركون " الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"ترجمة:هاشم صالح (ط.الموسسة الوطنية للكتاب، الجزائر) ص٢٤٧.

وهذه الصراحة من أركون اختصرت الطريق على كل منصف حتى يتبين أثرهم السيء على الإسلام ومصادره وأصوله.

ويقول نصر أبوزيد:" لا خشية من أن نطرح القرآن للمناهج الحديثة في الدراسة فهي تمكننا من اكتشاف مستويات عميقة في القرآن لم يستطع العلماء اكتشافها"(١).

وهذا ليس بغريب لأن هدف نصر أبوزيد في جل كتاباته اثبات بشرية القرآن وأنه نص كغيره من النصوص فهو خرج بنتيجة أنه لا مانع من أن نعرض النص القرآني على أدوات النقد الحديثة التي تنقد النصوص الأدبية البشرية سواء بسواء.

ويقول علي حرب:" لايقف ناقد العقل الإسلامي و اللوغوس [٢] القرآني موقف الإعجاب من ظاهرة الوحي وأعجوبة التنزيل بل يقوم بعمل الحفر والتفكيك فيكشف المحجوب على ماهو مسكوت عنه ويقرأ القرآن من خلال تاريخيته موظفاً لذلك أحدث أدوات التحليل والتفكيك"(٣)

والنصوص عنهم في هذا كثيرة، ويغلفون هذه الدعوى الخطيرة– التي تسهل عملية الطعن في الوحي –بغلاف استخدام أدوات النقد الحديثة، وهذه الأدوات نقدية للنصوص البشرية فلها الحق في رد النص وتخطئته، وتفريغه من محتواه وعدم العمل به.

٥–القول بتاريخية النص القرآني:

–المقصود بتاريخية النص القرآني:

–"تاريخية القرآن من حيث بنيته، وكونه إفرازا ثقافيا لمجتمع معين أو بعبارة أوضح: كونه منتجا بشريا بعيدا عن التعالي والتقديس.

–تاريخية القرآن من حيث أحكامه وتشريعاته، كونه استجابة لظروف وملابسات اجتماعية واقتصادية وسياسية معينة، ومع تغيرها لم تعد هناك حاجة لها "[٤]

---

(١) محمد حامد نصر أبو زيد "عن النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر "*مجلة العربي* عدد ٤٥٠: ص٦٩،(نقلاًعن::سليمان الغصن "إعادة قراءة النص الشرعي واستهدافه في الفكر العربي المعاصر"(ط١،الرياض، دار كنوز اشبيليا،١٤٣٧هـ) ص٨١، وانظر كلام أبوزيد في كتابه:" إشكاليات القراءة وآليات التأويل"(ط٧،المركز العربي الثقافي، المغرب،٢٠٠٥م)، ص٤٩.

(٢) اللوغوس: المقصود بها الكلمة الإلهية، لكن معانيها تختلف فعند اليونان هو القانون الكلي للكون، وعند فلاسفة اليهود كفيلون الإسكندري أنها: كلمة الله المخلوقة وهي أول القوى الصادرة عن الله، وعند النصارى هي الله لأنه الكلمة بزعمهم.انظر:د.عبدالرحمن بدوي "موسوعة الفلسفة "،(ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٤م)٢/٣٧١.

(٣) علي حرب "نقد النص"،(ط.٤،المركز الثقافي العربي،المغرب، ٢٠٠٥م)، ص٦٦.

(٤) مصطفى باحو،" العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام"،(، ط١، ٢٠١٢)، ص ١٤٥.

يقول هاشم صالح –تلميذ أركون ومترجم كتبه– " إن هذه المنهجية قد أثبتت نجاحها وفعاليتها أولاً عندما طبقت على تراث المسيحية، وبالتالي فينبغي أن يكف الأيديولوجيون العرب عن اتهام الاستشراق والقول بأنه يحاول تهديم الإسلام ؛ إذ يطبق المنهج التاريخي عليه"(١)

ويقول أيضاً:" إن القراءة التاريخية للقرآن هي وحدها التي تحررنا من كابوس الأصوليين والمتطرفين والمتشددين، وتكشف الأمور على حقيقتها"(٢)

–ويقول نصر أبو زيد بعبارة واضحة:" إذا قرأنا نصوص الأحكام من خلال التحليل العميق لبنية النصوص، فربما قادتنا القراءة إلى إسقاط كثير من الأحكام بوصفها أحكاماً تاريخية، كانت تصف واقعاً أكثر مما تصنع تشريعاً "أ.ه(٣)ـــ

ويعبر الطيب تيزيني– بأسلوب غير مؤدب – بأن القول بأن القرآن صالح لكل زمان ومكان هو: هوس ميتافيزقي، ووهم كبير (٤).

ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا الهدف من تبني هذه الآلية وهي القول بتاريخية النص القرآن هو: اسقاط وإبطال حجية القرآن، وأنه فقط جاء لعصر محدد في زمن محدد وليس شريعة دائمة ومرجعاً ومصدراً مستمراً عبر العصور.

٦–القول بأن القرآن: هو تلفيق من التوراة والإنجيل والديانات السماوية السابقة:

هذه الفرية و الأكذوبة منتشرة في أدبيات الاستشراق(٥)وللأسف يرددها بعض المفكرين العرب المتأثرين بهم،وإليك بعض نقول المستشرقين في هذا الصدد(٦):

يقول يوحنا الدمشقي:"إن القرآن تلفيق للتوراة والانجيل بمساعدة راهب أريوسي كان يلتقي بمحمد سراً"(٧)

(١) هامش كتاب:" الفكر الأصولي" لأركون ص٤٥.

(٢) المرجع السابق ص٥٠

(٣) محمد نصر أبو زيد"النص "السلطة الحقيقية "،(ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب،١٩٩٥م) ص١٣٩

(٤) ظافر شرقة "النسق"، ص١٢١.

(٥) خالد القاسم،" مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية"،(ط١، دار الصميعي، الرياض، ١٤٣١هـ)١/٤١٤.

(٦)سليمان الغصن "إعادة قراءة النص الشرعي" ص٦٨–٧٧.

(٧) المصدر السابق ص٧٢.

ويقول جولد زيهر[١]:" تبشير النبي العربي ليس إلا مزيجاً منتخباً من معارف وآراء دينية عرفها واستقاها بسبب اتصاله بالعناصر اليهودية والمسيحية وغيرها التي تأثر بها تأثراً عميقاً"[٢]

ويقول مونتقمري وات:" إن عظمة الإسلام تعتمد اعتماداً كبيراً على صهر هذا العنصر" العادات العربية " مع بعض النظريات اليهودية والمسيحية "[٣].

ويقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون:"إذا أرجعنا القرآن إلى أصوله ؛أمكننا عد الإسلام صورة مختصرة من النصرانية "[٤]ويقول المستشرق الألماني بروكلمان–ممهداً لهذه الفرية –: "وتذهب الروايات الى أنه اتصل في رحلاته ببعض اليهود والنصارى[٥]،ثم يقول بعبارة صريحة:"وتأثرت اتجاهات النبي الدينية في الأيام الأولى من مقامه بالمدينة ؛ بالصلة التي كانت بينه وبين اليهود"[٦]،والنقول عن المستشرقين كثيرة [٧].

وننتقل بعد هذه النقول إلى نصوص المتأثرين من المفكرين العرب،وسترى كيف أنهم قالوا بمثل أقوالهم وأقبح وأشد وإليك بعض هذه النقول:

–يقول الصادق النيهوم:" منذ مطلع القرن الهجري الأول كان الفقه الإسلامي يتلقى علومه بحماسة كبيرة في مدرسة التوراة "[٨]

–يقول عبدالمجيد الشرفي:"لقد كانت المعلومات التي تلقاها محمد من حوله واطلع عليها في أسفاره وعن طريق " الأحناف " أو أهل الكتاب "[٩]، ويقول: إن النبوة بمعنى تبليغ رسالة من الله ظاهرة يهودية "[١٠]

---

١ جولد زيهر: مستشرق مجري من عائلة يهودية ولد سنة ١٨٥٠م، وانتقل للتعليم في ألمانيا وفيها حصل على الدكتوراه، ومن رحلاته انتقل إلى مصر والشام مدة،من أشهر كتبه "مذاهب التفسير الإسلامي " وكان مكثراً جداً من التصنيف،كانت وفاته سنة ١٩٢١م، انظر: بدوي "موسوعة المستشرقين ص١٩٧.

(٢) جولد زيهر "العقيد والشريعة في الإسلام" ترجمة:محمد يوسف موسى وآخرون.،(ط.الرائد العربي، بيروت، ١٩٤٦م) ص١١.

(٣) مونتجومري وات "محمد في مكة" ترجمة:شعبان بركات،(ط.المكتبة العصرية، صيدا –لبنان) ص٥١.

٤ غوستاف لوبون "حضارة العرب " ترجمة: عادل زعيتر،(ط٣،دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٧٩م)، ص١٥٨

٥ كارل بروكلمان "تاريخ الشعوب الإسلامية "ترجمة:نبيه فارس،منير بعلبكي،(ط٧،دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٧م) ص٣٤

٦ المصدر السابق: ص٤٦، ٤٧.

٧ العمري "مناهج المستشرقين ٦١٨/٢وما بعدها.

(٨)الصادق النيهوم " الإسلام في الأسر"،(ط٣، دار رياض الريس،بيروت، ١٩٩٥م)، ص١١٦.

(٩) عبدالمجيد الشرفي "الإسلام بين الرسالة والتاريخ"،(ط١، دار الطليعة، ٢٠٠١م) ص١١٦

(١٠) المرجع السابق: ص٢٥

-ويؤكد أركون أن الإسلام تأثر بالكتابات اليهودية والمسيحية وأنه واضح جداً في القرآن[١].

-يقول هاشم صالح:"وماذكرناه من أمثلة واستشهادات يدل على أن القرآن متأثر أيضاً بالإنجيل وليس فقط بالتوراة "[٢]

ولعل فيما سقنا من أمثلة تكفي لبيان حجم الأثر الاستشراقي على الفكر العربي عموماً وفي أطروحاتهم وأبحاثهم وخاصة حول القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الجابري وموقفه من القرآن وتأثره بالاستشراق

-تمهيد:

١-بيئة الجابري الثقافية وأثرها عليه في تكوينه المعرفي والفلسفي:لقد نشـــأ الجابري في الفترة التي انتشر فيها التيار الشيوعي الماركسي في العالم وافتتن به كثير من المثقفين، وكان لثقافته الواسعة وقراءاته المتنوعة أثر في اتقانه لفلسفة الماركسية وهذا أثر كثيراً في كتاباته عن التراث الإسلامي كما سيمر معنا في المطالب القادمة.

٢-يعتبر الجابري من أكثر المفكرين الحداثيين والماركسيين الذي كتب في نقد التراث وأصوله ومصادره،وكان لكتبه أثر واسع على المثقفين في العالمين العربي والإسلامي.

٣- يصرح الجابري أن مشروعه الفكري مناهض لطريقة عرض الدراسات الإسلامية والشرعية، ولكن يختلف مع غيره بأنه يستخدم عبارات أقل استفزازاً وأكثر أدباً مع التراث (بكل مكونات هذا المصطلح)،ولا شك أن كتب الجابري أكثر جدية وأعمق من كتب غيره من التيار العلماني المعادي للإسلام وثقافته، والجابري لاشك أنه يتحدث بلغة المنتمي إلى الثقافة العربية ؛وله ذا كانت استراتيجته التي أعلن عنها في نقد التراث تقوم على: (نقد التراث من داخل التراث)، وبغض النظر عن ماهية هذا النقد وتقييمه فهو يرى أن هذه الاستراتيجية ستؤتي ثمارها التي يتطلع عليها من عملية التحديث والتغيير ؛ فيقول -ملقياً اللوم على رفقاء دربه -:"ألم تسفر هذه الدعوات (يقصد التي تصرح بالعلمانية والمناهضة للإسلام وتراثه)عن نتائج عكسية تماماً ؟ألم يتعاظم مفعول السلطات المذكورة، سلطات مرجعيتنا التراثية حتى أصبحت تكتسح الساحة اكتساحاً ؛ إذاً فلا سبيل إلى التجديد والتحديث-ونحن نتحدث هنا عن العقل

(١)أركون" الهوامل والشوامل"، ص٢٢٧

(٢) هاشم صالح "الإسلام والانغلاق اللاهوتي "،(ط١، دار الطليعة، بيروت،٢٠١٠م) ص١٦٩

العربي –إلا من داخل التراث نفسه وبوسائله الخاصة وإمكانياته الذاتية أولاً "أ.ه[١]، وعبارته "سلطات مرجعيتنا الثقافية "

٤- الجابري يتقصّد المنهج السلفي وتراث السلف على وجه الخصوص ومصادر التلقي فهو ليس كغيره يبحث في التاريخ والقضايا الاجتماعية ونحوها فقط ؛ بل ركز على المصادر كما هو الحال في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم"، فيقول الجابري بعبارة واضحة:"إنه بدون التعامل النقدي العقلاني مع تراثنا لن نتمكن قط من تعميم الممارسة العقلانية على أوسع قطاعات فكرنا العربي المعاصر، القطاع الذي ينعت بالأصولي حيناً وبالسلفي حيناً آخر "أ.هـ[٢]

٥- يعترف بأن قراءته للتراث نابعة من عقيدة وأيدلوجيا وفكر:يقول:"هل يمكن الادعاء بأن قراءة ما تصدر عنا نحن العرب المعاصرين يمكن أن تكون متحررة من الهاجس الأيديولوجي..؟ لقد سبق أن صرحنا بالطابع الأيدلوجي لقراءتنا ونحن نؤكد هنا مرة أخرى: أنه لأفضل ألف مرة أن نحاول قراءة تراثنا قراءة أيدلوجية تريد أن تكون واعية من أن نستمر في قراءته قراءة أيدلوجية غير واعية "أ.هـ[٣]

٦-يؤكد الجابري بأن قراءته لتراث الأمة ومشروعه الفكري ليست بريئة، فيقول:"لا ندعي أننا نقوم بعمل بريء، أي بقراءة لاتسهم في انتاج المقروء، فمثل هذه القراءة لا وجود لها "أ.هـ[٤]، وبهذا النقل عن الجابري يظهر لنا بجلاء بأنه يقصد أن لهذه القراءة أهدافاً يريد تحقيقها.

(١) محمد عابد الجابري "بنية العقل العربي–دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية "،(ط٥،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٦م)، ص ٥٦٨.

(٢) المصدر السابق ص٥٥٢

(٣)محمد عابد الجابري"نحن والتراث:قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي"(ط٦،المركزالثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م)ص ٧.

(٤) محمد عابد الجابري "الخطاب العربي المعاصر–دراسة تحليلية نقدية "،(ط٦،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ١٩٩٩م)ص١٢.

المطلب الأول: الجابري ومشروعه الفكري على وجه الإجمال[1]

يعتبر كتاب (نقد العقل العربي) للجابري بأجزائه الأربعة[2]:

-تكوين العقل العربي ج١

-بنية العقل العربي ج٢

-العقل السياسي العربي ج٣

-العقل الأخلاقي العربي ج٤

هو مشروعه الفكري الكبير،وبذل فيه جهداً كبيراً، ومابقي من أطروحاته الفكرية أودعها في كتبه الأخرى.

ولعلنا نجمل الكلام حول مشروع الجابري الفكري فيما يلي:

١-أسقط الجابري المفاهيم الفلسفية الغربية من ماركسية وغيرها على النص التراثي في تقويمه وتحليله بشكل مفرط وبغير اعتدال، وهذا بدوره قدم صورة مشوهة عن التراث الإسلامي بعيداً عن الموضوعية والبرهان، وكان إسقاطه تلك المفاهيم المستعارة من الفلسفات الغربية المعاصرة منتزعة من سياقاتها المعرفية[3].

ونجد أن الجابري يطبق هذه النظريات وعلى رأسها: الفلسفة "المادية التاريخية"[4] ليشكك في عصر التدوين تدوين السنة والقرآن وكل التراث وأنه نقل لنا صورة عن العصر

---

(١) وقيدنا هذا البحث بالإجمال لسببين: الأول: أن مشروع الجابري كبير ولا يحتمل هذا البحث المختصر نقد مشروع على وجه التفصيل، والثاني: أن هذا ليس من هدف البحث وإنما هو مقدمة لفهم طريقة الجابري ومنهجه برؤية شاملة

وقد قام عدد من المفكرين بنقد مشروع الجابري ونشير إلى أهم تلك الدراسات:

-بحوث ودراسات د. طه عبدالرحمن:منها:١- العمل الديني وتجديد العقل، ٢-روح الحداثة، ٣-سؤال الأخلاق، ٤-تجديد المنهج في تقويم التراث، وغيرها.

-بحوث ودراسات جورج طرابيشي: وقد صدرت في مشروع نقد العربي له سلسلة بعنوان:(نقد نقد العقل العربي)

١- نقد نقد العقل العربي – نظرية العقل –

٢-نقد نقد العقل العربي -إشكاليات العقل العربي-.

٣-نقد نقد العقل العربي -العقل المستقيل في الإسلام -.

٤-نقد نقد العقل العربي -وحدة العقل العربي الإسلامي -.

-محمد الجابري ومشروعه نقد العقل العربي، د.حسين الإدريسي.

-نقد التراث لعبدالإله بلقزيز.

(٢) كتاب نقد العقل العربي من إصدار مركز دراسات الوحدة العربية ببيروت وله ما يقارب عشر طبعات أو تزيد.

(٣)بلقزيز" نقد التراث"ص٣٥٥ ؛وانظر: جورج طرابيشي" مذبحة التراث "،(ط٢،بيروت، دار الساقي، ٢٠١٢م) فصل في المقدمة بعنوان (المذبحة النظرية: التيار الماركسي من ص١٣- ٢٠).

٤ المادية التاريخية: هي فلسفة ماركسية شيوعية، وهي تذهب إلى أن الأصل في الموجودات المادة، وتطور مفهوم إلى إنكار كل الغيبيات وظهر ما يسمى بالإلحاد،والمادية التاريخية قعد قواعدها:ماركس وانجلز وهي تفسير كل أحداث التاريخ على أساس العوامل المادية، فهي تطبق مبادئ المادية على التاريخ، وترجعها إلى العوامل الاقتصادية،وتزعم هذه الفلسفة أنها هي وحدها الكفيلة بوضع نظرية في المجتمع وتطوره، وتقول بالصراع بين الطبقات وأن الصراع عبر التاريخ بين الأغنياء والفقراء،انظر: بدوي "موسوعة الفلسفة " ص٤٠٧؛لجنة من العلماء السوفيتيين "الموسوعة الفلسفيةص٤٢١.

الجاهلي غير صحيحة، وأنه أعلى شأناً وأبلغ لساناً مما جاء في الإسلام وبعد عصر النبوة والمقصود أنه يصل إلى نتيجة أن العصر الجاهلي أفضل من الناحية العلمية من عصر الإسلام فينظر له بنظرة تاريخية دون التعرض لأمانة النقلة من الصحابة ومن بعدهم،ولا يتعرض لقواعد المحدثين وشروطهم في قبول الروايات، فيقول:"فصورة العصر الجاهلي، وصورة صدر الإسلام،والقسم الأعظم من العصر الأموي إنما نسجتها خيوط منبعثة من عصر التدوين، هي نفسها الخيوط التي نسجت صور مابعد عصر التدوين،وليس العقل العربي في الواقع شيئاً آخر غير هذه الخيوط بالذات"أ.هـ[1]، وتأمل معي كيف يساوي بين العصر الجاهلي وعصر دولة الإسلام وبداية التدوين وهذا فيه أجحاف وظلم وقول بلا حجة ولا برهان، ومآل هذه المساواة بين(العصر الجاهلي)– البعيد عن العلم وعن كل مقومات الحضارة العلمية التي جاء بها الإسلام – وبين (عصر التدوين) العصر الذهبي لعلوم المسلمين مآلها هو:التشكيك في العلوم التي حفظ بها الوحي، وهذا من أساليب المستشرقين المعروفة والتي تأثر بها جملة من المفكرين العرب.

وله نص آخر يبين حقيقة مشروعه وأنه تدرج للتشكيك في عصر التدوين ثم كيف تأثر المجتمع المسلم بهذه الثقافة الجاهلية التي أثرت على التدوين لأنها أعلى شأناً من عصر التدوين، والجابري يريد أن يبني على هذا الأصل أن الإطار المرجعي في الأصل هو العصر الجاهلي كما يقول:"لقد تشكلت بنية العقل العربي إذاً في ترابط مع العصر الجاهلي فعلاً، ولكن لا العصر الجاهلي كما عاشه عبر ما قبل البعثة المحمدية بل العصر الجاهلي كما عاشه في وعيهم عرب ما بعد هذه البعثة، العصر الجاهلي بوصفه زمناً ثقافياً تمت استعادته وتم ترتيبه وتنظيمه في عصر التدوين الذي يفرض نفسه تاريخياً كإطار مرجعي لما قبله ومابعده "أ.هـ[2] وهذا يقودنا إلى:

٢–الجابري في هده القضية أحط دركاً من المستشرقين لأن غاية ما يقرره المستشرقون بأن ا لإسلام تأثر بالعصر الجاهلي وبشعره وبلاغته[3]، وهو يقرر بأن عصر التدوين قدم لنا صورة مغلوطة عن العصر الجاهلي الذي هو أعلى شأناً من عصر التدوين أو كما يعبر بأن المفترض يكون إطاراً مرجعياً لعصر التدوين.

---

(١) محمد عابد الجابري "تكوين العقل العربي"،(ط٨،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٢م) ص٦٢.

٢ الجابري "تكوين العقل العربي" ص٦١.

٣ ومن هؤلاء المستشرق الفرنسي "كليمان هوارت "٣ حيث نشر في المجلة الآسيوية سنة ١٩٠٤م، أنه اكتشف مصدراً من مصادر القرآن وهو شعر أمية بن الصلت انظر: العمري "مناهج المستشرقين ٦٦٧/٢.

٣-يؤكد الجابري أن هدفه من مشروعه حول التراث لأجل تغييره وفق متطلبات الحداثة وليس هدفه الدفاع عنه أو بيان الحق الذي فيه فيقول:" والحق أن اهتمامي بالتراث لم يكن من قبل وليس هو الآن من أجل التراث ذاته، بل هو من أجل حداثة نتطلع إليها"أ.هـ[1]، فقوله (لم يكن من أجل التراث) يعني أن الجابري لايعنيه هذه الثقافة ومصادرها من الوحي، بل هو من (أجل حداثة نتطلع إليها)، والجابري ليس من مشروعه بيان الأخطاء والأغلوطات حول التراث وما قام به المستشرقون من لمز وتشويه بل لأجل الحداثة (بمنظوره المادي التاريخي) لاغير، ولهذا لا تجد للجابري أي نقد واضح وصريح للانحرافات التي في التراث سواء من الفرق المنحرفة كالباطنية إلا في النادر ولا من خارجها كما فعل المستشرقون، بل إن الجابري يرى أن هذه التيارات المنحرفة هي من تراث المسلمين وهو يتعامل معها ومع تقريراتها المنحرفة – التي تخالف العقل والفطرة- على أنها من التراث فيقول:"وهكذا يمكن أن نقول بكيفية عامة إن المعقول (يقصد به تيار المتكلمين والفلاسفة)الديني الذي كان وحده السائد في كل من الجزيزة العربية وشمال أفريقيا والأندلس وأن حضوره في مصر كان قوياً منذ الفتح وبقي كذلك حتى في عهد الخلافة الفاطمية التي استندت في أيديلوجيتها –الدينية والسياسية –كبقية الفرق الشيعية والتيارات الباطنية"أ.ه[2]. وهذا المنهج في التعامل مع كل من ينتسب إلى الإسلام –ولو كانت اعتقاداته تناقض الإسلام بالكلية–وأن تراثهم هو تراث الأمة وحضارتها والتعامل معه سواء بسواء مع ما جاء به النبي والصحابة من علم ومعرفة، هذا هو منهج الاستشراق لتقديم صورة مشوهه وغير صحيحة عن الإسلام الصحيح النقي الصافي الذي كان عليه سلف الأمة.

والجابري أقام منهجيته في نقد التراث على تيار (المعقول) ويقصد به تيار الفلاسفة واتكأ عليهم في طريقتهم من الاستفادة من (الموروث القديم) والمقصود بها الديانات والفلسفات القديمة، فيقول:"فإن التحليل الذي يقدمه الشهرستاني في كتابه القيم "الملل والنحل "هو أشمل وأدق ما نتوفر عليه حالياً وهو بالإضافة يمتاز بالموضوعية والحياد إلى حد كبير، كما يلتزم المبدأ الذي قررناه قبل: أعني النظر إلى(الموروث القديم)من زاوية (المعقول) الديني العربي "أ.هـ[3] وهذا النص يؤكد المنهجية الانتقائية التي يمارسها الجابري في مشروعه الفكري.

---

(١) الجيلاني مفتاح"الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة وموقفهم من القرآن"،(ط١،دار النهضة،١٤٢٧هـ)، ص٧٠

٢ الجابري:تكوين العقل العربي: ص١٤٣

٣ المصدر السابق ص١٤٥

٤–الجابري في منهجه الفكري انتقائي يريد ترسيخ أفكاره المسبقة والتي تعتمد كما سبق على قراءة للتاريخ مجتزأة وغير منصفة وبأدوات دخيله، ولهذا تجده ينقل في علوم الفقه والأصول والكلام واللغة، واجتنب علمين مهمين، عليهما تدور أفكار التراث الإسلامي بل هي مصدر التراث كله، وهما علمي الحديث والتفسير،وإن كان اشتغل في آخر كتبه بالكلام عن القرآن لكنه ضعيف البضاعة فيه فحياته كلها في الكتب السياسية والفلسفية، لأنه لو دخل ونقل منهما لتبين للقاريء مصادمة أفكاره واستنتاجاته ومشروعه الفكري للوحي،ولهدم النقد الحديثي كثيراً من الروايات التي بنى عليها قصوراً من المشاريع الفكرية التي لا تثبت أمام السند ولا المتن وكذلك فعل في التفسير، وهذا يظهر لكل قارئ لتراث الجابري ولا تخطئه العين [١].

والجابري يعرف بتيار (اللامعقول) ويقصد بهم أهل الحديث الذين عرفوا باعتمادهم (النقل) وتقديمهم إياه على (العقل) فيقول:"وعلى الرغم من الجهود التي بذلها كثير من المفسرين ورجال الحديث لتخليص العقيدة الإسلامية مما خالطها من الإسرائيليات (طبعاً يقصد الروايات التي تتحدث عن أمور الغيب)فإن هذه الأخيرة بقيت وإلى اليوم مصدراً لا ينضب من مصادر (اللامعقول)في الفكر الديني العربي،.....على أن الإسرائيليات لم تكن تنتمي إلى قطاع (اللامعقول)"العقلي"الذي يهمنا هنا، فهي كما قلنا تقدم اسمها باسم (النقل)لا باسم (العقل).."أهـــ[٢].

وأضيف أيضاً أمراً آخر هو: تجنب الجابري النقل أو مناقشة أطروحات العلماء الراسخين في العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته عموماً التي كان لها أثر كبير في التراث تأصيلاً ونقداً للأطروحات المنحرفة عند الفلاسفة والمتكلمين والتيارات البدعية، وخذ على سبيل المثال:كتاب شيخ الإسلام "درء تعارض العقل والنقل " فهو يدخل في صميم مشروع الجابري حول نقد العقل العربي ولا نجد له أي ذكر أو مناقشة.

٥–الجابري فيلسوف متكلم، فهو اهتم بالفلسفة وتراث المتكلمين إلى حد ما، والملاحظ أنه اهتم كثيراً بنقد العقل العربي أو نقد التراث – كما أطلق عليه – بالاستفادة من تراث الفلاسفة كثيراً، فهو يرى أنه التراث الأصيل،بل يراه متقدماً على غيره خاصة في مجال الدراسات القرآنية، فيقول:"والحق أن تأسيس علم البلاغة كعلم من علوم العربية إنما يرجع الفضل فيه إلى المتكلمين الأوائل وخاصة المعتزلة الذين كان عليهم

(١) وممن أشار إلى هذه القضية الدكتور عبدالإله بلقزيز في كتابه:" نقد التراث" ص٣٥٩–٣٦٠

٢ الجابري "تكوين العقل العربي " ص١٤٧

أن يواجهوا خصوماً ركزوا على إنكار إعجاز القرآن ضدا(كذا) على الإسلام والعرب معاً (الزنادقة، الشعوبيون).."أ.هـ."[1]، وهنا أغفل الفلاسفة لأن الفلاسفة لا عناية لهم بالبلاغة وإنما حاول أن يجد بغيته عند المعتزلة وهي أكثر الفرق الكلامية تأثراً الفلسفة.

٦-يتميز أسلوب الجابري في كتاباته عن التراث وعن الإسلام ومصادره يستخدم أساليب وعبارات غير صريحة للقاريء العادي حتى لا يتفطن لمصادمته لمسلمات وقطعيات الشريعة بخلاف معاصريه كأركون ونصر أبو زيد والطيب تيزيني وغيرهم، أما الجابري فيوصل الفكرة بالتشكيك وترك التساؤلات للقارئ بلا إجابة، وإيراد أقوال فاسدة من الفرق المنتسبة للإسلام لتأييد الرأي الذي يريده أو على الأقل كي يقنع القارئ أن هذا من القضايا المختلف فيها وليست من قطعيات الدين.ولهذا تجده حذراً حتى في المصطلحات التي يستعملها وفي عناوين كتبه وخاصة مشروعه الكبير في نقد العقل العربي حيث أشار إلى أنه اختار (نقد العقل العربي)تجنباً للالتباس الذي ينشأ من ارتباط لفظ(إسلامي) بالدين في ذهن المسلم [٢].

الجابري يتبنى الرؤية العلمانية في تصوره للكون والحياة والتي هي تخالف ما عليه المسلم الذي يرى أن الإسلام والوحي هو مرجعه والحاكم عليه في كل حياته، وهذه الرؤية كان لها أثر واضح في نقده للتراث، ولهذا يزول العجب عندما تقرأ في تقريراته وأبحاثه بطرق وأساليب التأكيد على التشكيك في موثوقية الوحي تمهيداً لإسقاط مرجعية التراث الإسلامي وحتى يكتمل مشروعه ويكون مقبولاً لدى المتلقي العربي يحاول أن يصبغ مشروعه في نقد التراث والعقل العربي -كما يسميه – بصبغة عقلانية وموضوعية ؛فهو يدعوا إلى تغيير مصطلح (العلمانية) الذي أصبح مشوهاً وغير مقبول في المجتمعات المسلمة،و يرى أنه لا مشكلة مع العلمانية ولكن يرى استبدالها بمصطلح (الديمقراطية) وبمصطلح (العقلانية) حتى يمكن ترويجها وقبولها فيقول:"وفي رأيي أنه من الواجب استبعاد شعار (العلمانية) من قاموس الفكر العربي وتعويضه بشعاري (الديمقراطية) و(العقلانية)؛ فهما اللذان يعبّران تعبيراً مطابقاً عن حاجات المجتمع العربي.. الديمقراطية تعني حفظ الأفراد وحقوق الجماعات، والعقلانية

---

١ الجابري "تكوين العقل العربي " ص١٢٨.

(٢) محمد أبو هندي "مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية-دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد الجابري"،(ط١،دار السلام، القاهرة، ١٤٣١هـ) ص٩٥.، وسيأتي مزيد بسط-إن شاء الله – عند مناقشة موقف الجابري من خلال كتابه"مدخل إلى القرآن الكريم " وسنورد الأمثلة من كلامه على هذه القضية.

تعني الصدور في الممارسة السياسية عن العقل ومعاييره المنطقية والأخلاقية وليس عن الهوى والتعصب وتقلبات المزاج"أ.ه[١]ـــ وحتى لا نظلم ا لرجل فقد بين بأن هذا هو منهجه في مشروعه الفكري فيقول بعبارة واضحة عن مشروعه في نقد العقل العربي :"وانحزت فيه صراحة إلى العقلانية والديمقراطية "أ.هـــ[٢]، التي هي مرادفة للعلمانية كما عرفها سابقاً.

فنحن أمام مشروع يريد نقض الوحي وليس أمام عالم من علماء الشريعة يريد الوصول إلى الحق وهذه هي النقطة الجوهرية التي يجب أن يستحضرها القاريء لكتب الجابري.

٨-لجابري يحاول أن يثبت أنه مع القطعيات والمسلمات الشرعية ثم ينسفها بطريقة متدرجة يقبلها القارئ وخذ على سبيل المثال في قضية تطبيق الشريعة يقول عنها:" شعار لا يمكن مواجهته بشعار مضاد ولا حتى بشعار بديل، ومن يستطيع أن يناقش وجوب تطبيق الشريعة في بلاد إسلامية تستمد معظم نظم الحكم فيها شرعيتها من الانتماء للإسلام بصورة من الصور"أ.ه[٣]ـــ فهو يشير في هذا النقل إلى أن تطبيق الشريعة هو شعار لا غير، وأنه يصعب الصراحة من قبل المفكرين أن يناقشوا وجوب تطبيق الشريعة.

٩-يرى الجابري أنه لا يمكن أن يروج مشروعه الذي أشرنا على شيء من معالمه كتبني العلمانية أو التفيسيرات الماركسية للتراث إلا من خلال أدوات وآليات في التراث الإسلامي كما يزعم، وبطريقة انتقائية ، فيقول "لا سبيل إلى التجديد والتحديث ونحن نتحدث عن العقل العربي إلا من داخل التراث نفسه وبوسائله الخاصة وإمكاناته الذاتية أولاً"[٤]. وإلى هذا الحد الذي أبان عنه الجابري لا أظن أن فيه مشكلة مع أنه لم يفعل ذلك وهذا الخلل المنهجي الذي وقع فيه من خلال تعامله مع التراث ونقده أنه يأخذ كل ماجاء في التراث المنسوب للمسلمين دون تمحيص ولا أقول إنه "حاطب ليل"؛ بل يتعمد الانتقاء في نقد التراث وتأييد فكرته من الأقول المطرحة والشاذة، وهذا في نظري

(١) محمدعابدالجابري"الدين والدولة وتطبيق الشريعة"،(ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦م) ص١١٣.

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن الكريم " ص١٥.

(٣) محمد عابد الجابري "الديمقراطية وحقوق الإنسان"،(ط٢،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧م)ص ٧٠

(٤)الجابري " بنية العقل العربي" ص٥٦٨

منهج بعيد عن الموضوعية والعلمية.[1]، وأمر آخر:أن الجابري لم يلتزم آليات النقد في التراث الإسلامي ومن أبسطها قواعد المحدثين أوالقواعد الأصولية في الفقه أو القواعد في علوم القرآن وتفسيره، بل اعتمد على آليات نقد غربية كما مر معنا.

١٠-الجابري في طرحه في قضايا الفكر العربي والقضايا التي تتعلق بالإسلام ينظر بمنظور ماركسي جدلي غربي،وتقدم معنا الإشارة إلى تأثير البيئة الماركسية والشيوعية التي نشأ فيها وتكونت ثقافته.

والجابري يحاول تطويع مفاهيم الشريعة ونصوص الوحي لمنهجه فيقول متسائلاً:" هل يقبل الإسلام كعقيدة التفسير المادي الجدلي للتاريخ ؟ وبعبارة أوضح "ألا يتعارض المادي الجدلي مع العقيدة الإسلامية ؟"[٢].ثم يجيب الجابري:" لايقبل الإسلام الفلسفة المادية الجدلية من جذورها وبالتالي لا يقبل أن يفسر بها فهي تتعارض مع الدين السماوي المنزل فكيف يمكن استخدام منهج في تفسير دين ؟ في حين أن هذا المنهج ينكر الأصل السماوي لهذا الدين ؟

وهذا التقرير من الجابري حق وصحيح، ولهذا تجده يريد أن يبحث عن مخرج لهذه الأزمة فيضطر للبحث في التراث عما يسعفه حتى يوفق بين هذه النظريات الفلسفة المادية الملحدة ومع الإسلام الرباني السماوي فيقول:"أن الناس هم الذين يصنعون تاريخهم وأن القوي منهم يظلم الضعيف ويستغله وأن هذا الضعيف يثور -لرفع الظلم عنه- جعل حداً للاستغلال الذي يتعرض له، هذا الصراع بين الأغنياء والفقراء هو أصل السلطة "أ.هـ[٣]

والصراع الطبقي هو تفسير ماركسي معروف والجابري بخلفيته وانتمائه الماركسي يحاول أن يلفق ما بين التراث ومنهجه الماركسي وتجده يكرر هذه القضية في أكثر من موضع في كتبه،وهو تلفيق غير سوي ويتعارض مع أصول الإسلام التي تقرر أن الإنسان يتحمل المسؤولية ليقيم منهج الله في الأرض وليس للصراع والبقاء فقط[٤].

ونجده في موضع آخر يشير إلى آلية أخرى في النقد من آليات الماركسية وهي: المادية التاريخية فيقول:"لقد ثارت اعتراضات كثيرة على كتبي "نقد العقل العربي "

---

١ لايمكن هنا سرد الأمثلة من أقواله وتقريراته فهذا يحتاج بحث مستقل ولكن ما يؤيد هذا تجده مبثوثاً في ثنايا البحث وخاصة في مبحث تحرير موقفه من القرآن من خلال كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم "

(٢)الجابري " التراث والحداثة" ص١١٤.

(٣) الجابريي "التراث والحداثة" ص١١٥

(٤) أبوهندي "مشروع النهضة "ص٩٣-٩٤.

لأنني أغفلت ربط الفكر بالواقع، وأعلن هنا أني تعمدت عن قصد واختيار لأنني أريد أن أسلك في البحث مسلكاً علمياً: التحليل المادي للتاريخ مفيدٌ لفهم التاريخ وضروري"[(١)]، وهو هنا يقول إنه (تعمدت عن قصد واختيار) ولا مجال لإحسان الظن أو التبرير، والذي يهمنا أن الجابري اتخذ منهجاً مجانباً للصواب كان ضرره واضح على النتائج التي يتوصل إليها القارئ في تصوره ونظرته لتراث أمته، وعموماً فإن الماركسيين العرب حاولوا أن يفرغوا الإسلام من محتواه بمثل هذه الأدوات النقدية الغربية من ماركسية وغيرها وليس هو أمر اختص به الجابري.[٢]

ويقول أيضاً:"ولكننا إذا كنا نطمح إلى المساهمة في في الكشف عن هذه البنيات فليس ذلك من أجل البحث عن أصالة موهومة فوق الزمن بل من أجل تجاوزها وفي هذه الحالة فإن التحليل التاريخي سيكون ضرورياً لنا ضرورة التحليل البنيوي ذاته"أ.هـ[٣]

١١–تأثر الجابري تأثراً كبيراً بطروحات المستشرقين حتى يكاد ينقل حرفياً منهم في بعض المواضع ويخالف منهجه القائم على(الإبداع والثورية والتجديد) كما تقدم معنا ؛ فهو ينقل عنهم من غير تمحيص ولا نقد وإليك بعض الأمثلة:

المثال الأول: معلوم أن النبي الكريم (إدريس عليه السلام) يطلق عليه الفلاسفة وبعض المتكلمين اسم (هرمس)، والجابري استعار هذه التسمية من المستشرق "هنري كوربان[٤]"[(٥)] فيقول في معرض حديث له: "وكما يقول هنري كوربان فلقد كانت الشيعة

(١)حسين الإدريسي"محمدالجابري ومشروع نقد العقل العربي"،(ط١،مكتبة مؤمن قريش،بيروت،٢٠١٠م) ص١٦٠؛أبوهندي " مشروع النهضة"العلمانية ص٣٢٤–٣٣٠.

٢ أنظر: أحمد الطعان "العلمانيون والقرآن الكريم "،(ط١،دار ابن حزم،بيروت، ١٤٢٨هـ)ص٦٥٢؛ محمد عمارة "التفسير الماركسي للإسلام "،(ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٢هـ)ص٤١؛الغصن "إعادة قراءة النص "ص٥٦–٦٧،أبوهندي"مشروع النهضة "ص٣٢٤–٣٣٠.

٣ الجابري "تكوين العقل العربي " ص٥٣

٤ هنري كوربان:ولد سنة ١٩٠٣م من أسرة برتستانتية في فرنسا واتقن اللاتينية واليونانية والألمانية والروسية درس الفلسفة في السوربون وهو ذو نزعة صوفية إشراقية ولهذا اهتم بالفلسفة الإشراقية واتقن العربية والفارسية واهتم بالدراسات حو ابن سينا والسهروردي، وله اهتمام وتخصص بالفكر الشيعي الاثنا عشري،كانت وفاته سنة ١٩٧٨م انظر: بدوي "موسوعة المستشرقين" ص٤٨٢؛جورج طرابيشي"معجم الفلاسفة"، (ط٣، بيروت، دار الطليعة،٢٠٠٦م)، ص٥٣١.

(٥) الادريسي " محمد الجابري ومشروع نقد العقل العربي" ص ١٦٢.

أول من تهرمس في الإسلام وقد ظهرت الهرمسية [1]لديهم وكأنها حكمة لدنية أي فلسفة نبوية"[2] ويكرر نفس المقولة في كتابه تكوين العقل العربي [3].

والمراد من إيراد هذا المثال هو بيان أثر الاستشراق على مشروع الجابري الفكري وأنه لم يقتصر على النقد من داخل التراث وحده كما قرره في كتبه.

المثال الثاني: تقدم معنا النقول المتعددة في نسبة المستشرقين للقرآن والسنة تأثرهما بالحضارات السابقة، وأن النبي ينقل منها وخاصة اليهودية والنصرانية [4]، والجابري يؤكد على هذا المعنى كثيراً، فيقول:"ورثت الثقافة العربية الإسلامية كل علوم المعقول واللا معقول في الثقافات القديمة "أ.هـ[5] وتأمل معي هذا التعميم في كلامه وإطلاقاته (ورثت الثقافة العربية والإسلامية كل علوم المعقول واللامعقول) فالثقافة الإسلامية في نظره مبنية في كل علومها النقلية والعقلية والتي يسميها(المعقول واللامعقول) على الثقافات الأخرى.

والتعميم الآخر قوله (في الثقافات القديمة) فالثقافات هي الوثنية والنصرانية واليهودية والمجوسية، ومعلوم أن الإسلام جاء بتصحيح هذه المفاهيم المنحرفة خاصة في مجال الألوهية والربوبية والنبوة والوحي والتي هي مرتكز نقد الجابري للتراث.

ويقول في موضع آخر عن أحاديث طاعة أولي الأمر[6]:" هذا نموذج من اختراق القيم الكسروية للموروث الإسلامي "الخالص " في أسمى أصوله بعد القرآن، وهو الحديث"أ.هـ[7]، فهذا زيادة على متابعته للمستشرقين؛ فيه الطعن في الوحي وتدوين السنة وأنها مخترقة من الثقافات الأخرى ولم يشر الجابري إلى جهود المحدثين في تنقية السنة وبيان الزيف الذي دخل فيها، وينتقل إلى جانب آخر من أصول الإسلام وهو الأصل الأخلاقي فيقول:" الموروث الفارسي المصدر الأول للكتابة الأخلاقية في

---

١ الهرمسية:هي كتابات ونقول تعود إلى القرنين الثاني والثالث الميلادي، ومشكوك في مصادرها والمظنون أنها ألفت في الإسكندرية،والآراء الواردة في هذه الكتابات هي خليط غريب من الأفكار والفلسفات اليونانية المختلفة، ويزعم أصحابها أنهم ينطقون عن وحي إلهي وينظرون إلى الله أنه الكون نفسه. انظر: بدوي "موسوعة الفلسفة ٢/ ٥٣٨.

(٢) الجابري "نحن والتراث" ص ١٢٩

(٣) الجابري "تكوين العقل العربي" ص٢٠٠

٤ تقدم نقل كثير من كلام المستشرقين في هذا الموضوع في المبحث السابق.

(٥) الجابري "نحن والتراث" ص ٣٠٤.

٦ الأحاديث في وجوب طاعة ولي الأمر في الصحيحين وهي ثابتة بأسانيد كالشمس وليس من مهمة البحث الآن الإشارة إليها ولكن حتى يتبين لك كيف يقفز الجابري على مثل هذه المسلمات.

(٧) محمد عابد الجابري " العقل الأخلاقي العربي–درسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية "،(ط١،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١م)، ص٢٣٢.

الإسلام "أ.هـ[1] تصور معي أن يصبح الموروث الفارسي المصدر الأول للأصل الأخلاقي في الإسلام، ولا أدري من أي المصادر أو من قال بها، ولكن هو التأكيد على تأثر الإسلام بالثقافات والأديان الأخرى التي يشير إليها المستشرقون،وسيأتي أنه تأثر بهذه المقولة وأخذها عن المستشرق جولد زيهر".[2].

المثال الثالث: الجابري في معرض تشكيكه كما تقدم في تدوين التراث، وذلك بزعمه أن العصر الجاهلي كان له أثر على العصر الإسلامي في بداياته في عملية التدوين وخلط ما كان من الإسلام وماكان من خارجه من الثقافات.

ولكن الجابري هنا في هذا الموضوع يصرح بأن تدوين الحديث لا شك أنه وقع فيه الكذب بسبب تأخر عملية التدوين وهي شبه استشراقية منتشرة في أدبيات الأستشراق، فيقول- بعد نقله نصاً عن الإمام الذهبي يشير إلى بداية عصر التدوين الفعلي للحديث النبوي في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز وعلى يد الإمام الزهري -:"ورغم أن مصطلح "العلم " في ذلك الوقت كان يراد به أساساً" الحديث "وما يتصل به من فقه وتفسير فإن مضمونه كان ينصرف إلى العلوم المساعدة لهذا العلم الأصل مثل علم اللغة والمغازي وأيام الناس....ولكن "تدين العلم وتبوبيه "حتى بمعنى الجمع والتصنيف لا غير لا يمكن أن يتم بدون "رأي"ولابد،وإذا لم تكن العملية تنحصر في حفظ الموروث الثقافي العربي الإسلامي من الضياع.... بل إن العملية كانت في الحقيقة: إعادة بناء ذلك الموروث الثقافي بالشكل الذي يجعل منه تراثاً أي إطاراً مرجعياً لنظرة العربي إلى الأشياء وإلى الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ.... إن الموروث الثقافي العربي الإسلامي الذي تناقلته الأجيال منذ عصر التدوين إلى اليوم ليس صحيحاً، على وجه القطع بل هو صحيح فقط، على "شروط " أهل "العلم"الشروط التي وضعها وخضع لها المحدثون والفقهاء والمفسرون والنحاة واللغويون الذين عاشوا في عصر التدوين.."أهـ[3]،وهنا يمكن لنا أن نطرح عدة إشكالات حول هذا النقل عن الجابري في تحديد معالم مشروعه الفكري فنقول:

-ما الفائدة وما الهدف الذي يريد أن يصل إليه الجابري من وراء إثارة مثل هذا التشكيك في وثوقية تدوين السنة الذي هو وحي من الله ومرجع للشريعة وفهم القرآن ؟

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦.

٢ سياتي في المطلب الأخير من البحث الدراسة التي تبين أثر الاستشراق على الجابري وفصلنا القول في تأثير جولد زيهر عليه.

٣ الجابري "تكوين العقل العربي ص ٦٤.

الجواب: لأنه لا يمكن أن يتسق مشروعه الفكري مع خلفيته العلمانية دون التوطئة بالتشكيك في صحة المنقول من الوحي، الذي يتعارض ويصطدم بما يدعوا إليه من حداثة يتطلع إليها من نقده للتراث وتأمل معي كيف يشير إلى هذا الهدف بقوله (إن العملية كانت في الحقيقة: إعادة بناء ذلك الموروث الثقافي بالشكل الذي يجعل منه تراثاً أي إطاراً مرجعياً لنظرة العربي إلى الأشياء وإلى الكون والإنسان والمجتمع والتاريخ)

–هل هذا الاكتشاف الذي اكتشفه الجابري– بأن التدوين كان متأخراً وماحصل فيه من تغيير يعتبر قادحاً في صحة ما ثبت وما كتب من الوحي ومايعبر عنه بـــ"الموروث الثقافي "–هل هو من بنيات أفكاره أومن خلال بحثه العميق ودراساته التاريخية ؟

الجواب أن هذا نقل عن المستشرقين المتعصبين ضد السنة وتدوينها ولكنه أضاف إليها مبررات وبراهين أكثر لكي تكون منطقية ويقبلها العقل وتتسق مع ما يقرره حول مشروعه الفكري،وممن قال بهذه الفرية في التشكيك في التدوين عدد من المستشرقين[1] مثل: جولد زيهر في كتابه "دراسات إسلامية "، والمستشرق "سوفاجيه[2] "في كتابه " الحديث عند العرب "،والمستشرق "دوزي "[3]

١٢–خلاصة مشروع الجابري الذي يسعى له هو أن نؤسس لثقافة جديدة تواكب عصرنا ولا نقف عند تقريرات السابقين، وهو يستخدم عبارات حتى لا تؤخذ عليه أو يتهم بأنه يريد تجاوز عصر التدوين والعلم والتقريرات الشرعية التي هي ثابتة وأحكامها ثابتة فيعبر بأننا لم نتجاوز في بنية العقل العربي: العصر الجاهلي إلى اليوم فنحن مررنا بثلاثة عصور على حد تعبيره (العصر الجاهلي – عصر الإسلام – عصر النهضة الحالي) وأننا مازلنا حبيسين للثقافة والأشخاص في منذ العصر الجاهلي وحتى الآن، وبطبيعة الحال يدخل في كلامه العصر الإسلامي.

فيقول:"ماذا تغير في الثقافة العربية منذ "الجاهلية " إلى اليوم ؟سؤال يمكن قراءته هو الآخر بصيغة الاستفهام الإنكاري.....وإذاً فمن من المثقفين العرب من يستطيع الادعاء بأنه في عالم غير عالم هؤلاء (يقصد الثقافة في العصر الجاهلي والعصر

---

١ انظر: العمري "مناهج المستشرقين ٣٨١/١.

٢ سوفاجيه: مستشرق فرنسي عني بالتاريخ والآثار الإسلامية،ولد سنة ١٩٥٠م، وكان مديراً لتاريخ الشرق الإسلامي في مدرسة الداراسات العليا الملحقة بالسوربون من كتبه:المدخل إلى تاريخ الشرق الإسلامي "انظر: بدوي "موسوعة المستشرقين ص٣٥٦.

٣ دوزي: مستشرق هولندي، ولد سنة ١٨٢٠م،اشتهرت أبحاثه في تاريخ العرب في أسبانيا، وكان له اطلاع واسع على المخطوطات العربية، وتنقل بين الدول الأوربية واطلع على المكتبات وما تحويه من نفائس المخطوطات العربية، وعين محافظاً مساعداً للمخطوطات الشرقية، وكلف بتصنيف فهرس لها، وهي ما عرف بمخطوطات "ليدن"، من أشهر كتبه وأوسعها "تاريخ المسلمين في أسبانيا " في أربع مجلدات كانت وفاته سنة ١٨٨٣م، انظر: بدوي "موسوعة المستشرقين ٢٥٩.

الإسلامي والعصر الحاضر)..... هناك إذاً أشياء كثيرة لم تتغير في الثقافة العربية منذ الجاهلية إلى اليوم تتشكل في مجموعها ثوابت هذه الثقافة وتؤسس بالتالي بنية العقل الذي ينتمي إليه....فإن ما يبقى من الثقافة وما يميزها هو:(زمنها)"أ.هـ[1]

في كلام الجابري ماهو حق وهو أننا يجب أن نعالج ثقافة عصرنا، وأن نكون على قدر المسؤولية في مواجهة مشاكل الحاضر الذي نعيشه ولا نظل نردد المقولات الماضية بدون وعي.

ولكن ثمة إشكالات حول البناء والتصور الذي بناه الجابري في مشروع الثقافي من خلال هذا النقل ومنها:

-أن الجابري يرى من العيب أن نستحضر ثقافتنا الممتدة عبر التاريخ وأشخاصها، وأنه يجب أن نعيش واقعنا، وفي رأيي أن المعالجة للواقع لا بد أن تكون بأصول وأدوات الثقافة الأصيلة لدينا والتي إليها نحاكم واقعنا، إن الإسلام الصحيح الذي جاء به النبي كما في القرآن والسنة وبما فهمه صحابته وسلفنا الأوائل أعلم الناس بمراد رسول الله الذي هو أعلم الناس بمراد الله.وهنا ننبه أن أهل الحديث من أهل السنة كانوا أهل عقل كما أنهم أهل نقل، والناظر في طريقة تبويبهم لكتب الحديث وطريقة الاستنباط الدقيقة والقائمة على الاستدلال العقلي الحر المتجرد، وما الردود على الفلاسفة والمتكلمين من قبل أهل الحديث إلا نوع من الاستدلال العقلي لأن الفلاسفة والمتكلمين بضاعتهم الأدلة العقلية وواجهوهم بنفس سلاحهم وكانت الغلبة لهم.

-أن الجابري يسوي بين المستوى الثقافي في العصر الجاهلي والعصر الإسلامي،بل تكاد عبارته تشير إلى أفضلية العصر الجاهلي، وهذا من الظلم والإجحاف لأن الإسلام جاء بتصحيح تلك المفاهيم والثقافات وأسس لمفاهيم جديدة ومصطلحات جديدة كان لها أثر في بنية العقل الإسلامي ولهذا كان نتاج الثقافة العربية بعد الإسلام عميقاً وثرياً وكبيراً لم يستوعبه المستشرقون ولم يحيطوا إلا بجزء يسير منه وأعني نتاج هذه الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة عبر القرون والتي ملأت مكتبات العلم

-الجابري لم يشر من قريب ولا بعيد كما تقدم عن الإسهام الكبير الذي قدمه علماء الإسلام الذين كانوا على نهج أهل الحديث والتمسك به والذي كان لهم سجالات قوية مع الفلاسفة والمتكلمين والباطنيين بفرعيهم (الشيعي والصوفي) والذين استطاعوا منذ العصور الأولى الرد على هذه الثقافات الدخيلة والرؤى العقلية الهزيلة فالصحابة

---

١ الجابري "تكوين العقل العربي" ص ٣٩.

والتابعون ومن بعدهم كانت لهم مناظرات مع المخالفين من أهل البدع وأهل الكلام والفلاسفة ولم يسجل التاريخ لهم انهزاماً ولا انكساراً بل سجل لهم كتباً وردود بلغت الآلاف خلدها التاريخ، ومن أعظم المدارس الإسلامية المنتمية إلى تيار أهل السنة تيار أهل الحديث هي مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية والتي كان لها دور كبير في تأسيس بنية العقل الإسلامي وتصحيح المفاهيم المغلوطة التي أسسها الفلاسفة والمتكلمون. لقد أغفل الجابري في مشروعه كل هذا، ونجده يحتفي بتراث الفلاسفة و المتكلمين، وينقل عن الباطنيين(الشيعة والصوفية) ويتحاشى النقل عن هذا التيار الغالب في ثنايا بحوثه رغم غزارة ما قرره السلف ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة و مع أن هذا المنهج هو الأصل في تأسيس الثقافة الإسلامية فهو لم يتعرض لمنهجهم الفكري والعقلي الذي أقاموا عليه ثقافتهم رغم قوتها وصلابتها عبر العصور إلى يومنا هذا واتساقها وعدم تناقضها كما هو الحال في مشروع المتكلمين والفلاسفة ومشروع الجابري الفكري الذي طرحه لنقد العقل العربي.

١٥-الجابري لم يلتزم في مشروعه بالاقتصار على نقد التراث من خلال التراث بل انتقل إلى نتاج الاستشراق الثقافي وتقدم بعض الأمثلة، ولم يكتف بذلك بل أخذ تقريرات من الفلاسفة الغربيين الذين يقررون منهج بعيد عن الثقافة والوحي المطهر، ويستخدم آلياتهم التي يقرأون بها التاريخ واللغة والوحي، ويصرح بالإعجاب بهم ويأخذ منهم ما يعضد فكرته.

فعلى سبيل المثال: الجابري يقرر أن اللغة تأثرت في عصر التدوين كما تأثر الحديث والوحي وأنه دخلها مادخلها، وقرر أن اللغة تؤثر في عقل المجتمع وتصوراته فالعصر الإسلامي لتمسكه باللغة العربية انتقلت المفاهيم والتصورات التي في العصر الجاهلي، وهو يتوصل بها لتكون تمهيداً لإسقاط الفهم الصحيح لمعاني القرآن لأنه لا يستطيع المساس به في هذه القضية ولا التشكيك في ثبوته مثل ما فعل مع السنة النبوية ا ولكنه التف عليها ووجد هذه الحجة فيقول:"ولاحظنا أن اللغة العربية ربما تكون اللغة الوحيدة الحية في العالم التي ظلت هي هي في كلماتها ونحوها وتراكيبها منذ أربعة عشر قرناً على الأقل، أدركنا مدى ما يمكن من تأثير لهذه اللغة على العقل العربي ونظرته للأشياء تلك النظرة التي لا بد أن تتأثر قليلاً أو كثيراً بالنظرة التي تجرها معها اللغة العربية منذ تدوينها، أي منذ عصر التدوين ذاته"أ.هـ[١]، وحتى يؤيد

١ الجابري "تكوين العقل العربي " ص٧٦

هذه النظرية التي قعدها يصرح بأنه استفادها من أحد فلاسفة الغرب وهو الفيلسوف الألماني " هردر"[1] وأنه يوافقه فيما ذهب إليه فيقول:"يعد المفكر الألماني هردر من الرواد الأوائل الذين انصرفوا في العصر الحديث بقسط وافر من جهودهم العلمية إلى محاولة ضبط العلاقة بين اللغة والفكر وتحديدها، بل لربما يمكن اعتباره الرائد الأول للنظرية التي تعزو دوراً أساسياً للغة في تشكيل نظرة الإنسان للكون.... فإننا نرى معه أن اللغة ليست مجرد أداة للفكر بل هي أيضاً القالب الذي يتشكل فيه الفكر.....ومن هنا ربط هردر بين خصائص اللغة وخصائص الأمة التي تتكلمها..ليس فحسب بل إن كل أمة تخزن في لغتها تجاربها بما فيها من عناصر الصواب والخطأ فتنقلها اللغة إلى الأجيال الناشئة واللاحقة فتصبح أخطاء الماضي أو جزء منها على الأقل من ضمن التراث الذي تنقله اللغة عبر الأجيال والذي يساهم في تحديد نظرة أصحابه إلى الكون"أ.هـ[2]، ثم نقل عن غير هردر من الفلاسفة الماركسين ويقررون نفس النظرية[3].

خطورة هذا المسلك الذي يسلكه الجابري أنه يريد إسقاط مرجعية التراث وهو الوحي (كتاباً وسنة) فالسنة اسقطها بتشكيكه في تدوينها ودخول الكذب فيها وتبنيه منهج أهل الكلام في عدم قبول خبر الواحد وغيرها من قواعد المنهج الكلامي الفلسفي الذي تجاوز النص الشرعي ولم يرفع به رأساً

وأما القرآن فمن خلال هذا النص ونصوص أخرى سنوردها في المطلب القادم يتضح لنا أنه يريد اسقاط مرجعية القرآن بإحياء منهج التأويل الكلامي والفلسفي الذي يبطل المعاني الصحيحة، والتشكيك في سلامة اللغة والمعاجم اللغوية المتقدمة حتى يمرر الانحراف التأويلي الذي قرره المتكلمون الذي يخالف لغة العرب التي جاء بها

---

١ هردر:جوهان جوتليب، فيلسوف لاهوتي ألماني، ولد سنة ١٧٤٤م، وكان رائدا وملهماً في فلسفة التاريخ التي اشتهر بها الفيلسوف (هيجل) رغم الاختلاف بينهم إلا أنه يعتبر ممن قدح شرارة هذه الفلسفة ولم يكن مغالياً في تقريرها لأنه كان قسيساً مسيحياً بروستانتياً في المقام الأول،وكان من أشهر كتبه "أفكار في فلسفة تاريخ الإنسانية"،هتم كثيراً باللغة والشعر من الناحية الفلسفية وأثرها في العقل والوجدان والشعور،وكان منصفاً للعرب وحضارتهم ولم يكن متعصباً ضدهم، كانت وفاته سنة ١٨٤١م،انظر: بدوي "ملحق موسوعة الفلسفة ص٣٥٦-٣٦٤،؛طرابيشي "معجم الفلاسفة "ص٦٩٨؛لجنة من العلماء السوفيتين "الموسوعة الفلسفية "بأشراف:روزنتال، ويودين ترجمة: سمير كرم (ط٩، بيروت، دار الطليعة، ٢٠١١م) ص٥٥٧ ومما جاء فيها: "وأعلى من شأن وحدة المادة وأشكال المعرفة " وهذا يؤكد انتقائية الجابري لمن ينقل عنهم ممن يتوافق مع توجهاته المادية الماركسية.

٢ الجابري "تكوين العقل العربي " ص٧٦-٧٧.

٣ نقل عن: إدوارد سابير، وآدم شاف نفس النظرية بتأثير اللغة في الثقافة وهذا الأخير كان ماركسياً متعصباً لماركسيته وهذا يؤكد ما أشرت إليه أن المنهج الانتقائي الذي يمارسه الجابري بما يوافق توجهه الفكري.انظر: جورج طرابيشي "معجم الفلاسفة" ص٣٨٧.

القرآن،والحديث يطول حول محاولة اسقاط مرجعية المعاجم العربية وله كلام كثير ولعل فيما قدمنا كفاية.[1]

تنبيه: نحن نتفق مع الجابري في أن اللغة تحمل معها مضامين ثقافية تؤثر في تصورات المجتمعات، ولكن نختلف معه في توظيف هذه النظرية للتشكيك في المراجع اللغوية التي دونت أساساً لفهم القرآن فهماً صحياً كما أنزل.

المطلب الثاني :موقف الجابري من القرآن من خلال كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم" وتأثره بالاستشراق.

قبل أن نبدأ البحث نشير إلى قضيتين تهمنا في هذا البحث:

الأولى: منهجية المصادر والتعامل معها:الجابري استخدم منهجية خطيرة في فهم القرآن، وهي تعود على النص بالإبطال وعلى معانيه الحقة، وهي الأخذ حتى من غير المسلمين لكي يفهم القرآن، بل من أعداء الإسلام الذين قدحوا في القرآن بحجة " أن الحق ضالة المؤمن"، وأظن أن هذا الكلام غير صحيح و لاينطبق على ما نحن بصدده، فالقرآن فهمه وتفسيره وبيان معانيه ومنهجية الاستدلال تكون ضمن مرجعية إسلامية موثوقة لأن القرآن هو مصدر للشريعة وينطق بكل ثوابتها وقواعدها، فاستخدام مناهج غربية خارجية عن الإسلام لا يستقيم هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن المناهج النقدية الغربية طبقت على كتب محرفة كالتوراه والانجيل وهي من كلام البشر وليس كلام الله الوحي المعصوم، واستخدموها كذلك في نقد النصوص الأدبية البشرية، فكيف يسوغ مسلم لنفسه أن ينزلها على القرآن إلا من أراد تعطيل القرآن عن معاينه الحقة، وبالتالي يعود على الشريعة والعقيدة الإسلامية بالإبطال.

والجابري يؤكد هذه المهجية في هذا الكتاب فيقول:"إننا من الناحية المبدأية لا نستثني أي مصدر عربياً كان أو غير عربي، إسلامياً كان أو غير إسلامي، المهم عند هو ما يقدمه هذا المصدر أو ذلك من معلومات تكون لها فائدة في بحثنا "أ.هـ[2] وهذه المنهجية أفرزت نتائج خطيرة في فهم القرآن وبناء تصور عنه للقارئ.

الثانية: يصرح الجابري في أخذه من المستشرقين ويبدي إعجابه بطريقتهم ومنهج بحوثهم حول القرآن فيقول–في معرض المقارنة بين الدراسات القرآنية بين علماء المسلمين والمستشرقين–:" أما المستشرقون الذين يعتمدون في الغالب منهج المقارنة

---

١ انظر:الجابري "تكوين العقل العربي " ص٨٠ ومابعدها.

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن الكريم " ص ٢٥

فهم يطرحون أسئلة تجد مرجعيتها الصريحة أو المضمرة في ثقافتهم الخاصة بهم، وهي أسئلة قد تثير قضايا جديدة لم تكن من مجال المفكر فيه في الثقافية العربية الإسلامية"[1]

ثم يشير إلى أنه رغم الفرق بين طريقة المستشرقين في نقد الكتب السماوية المحرفة وبين القرآن إلا أنه لا يجد حرجاً في تبني آراء المستشرقين الناقدة للقرآن فيقول:"فرق شاسع إذاً بين وضع "الكتاب المقدس "(التوراه والإنجيل)،وتاريخ تكوينه، وبين وضع القرآن ومساره التكويني ومع ذلك فإن هذا الفرق سواء أخذ بعين الاعتبار أولم يؤخذ لايعفي من طرح ما يمكن من الأسئلة أسئلة الكون والتكوين "أ.هـ[2]

ويمكن إبراز وتجلية موقف الجابري من القرآن من خلال كتابه "مدخل إلى ا لقرآن الكريم " فيما يلي:

أولاً: في العبارات والأسلوب:

١-الجابري كعادته متحفظٌ في أسلوبه، وحذرٌ في صياغة آراءه حول التراث وخاصة في كتابه"مدخل إلى القرآن" أكثر من كتبه الأخرى؛ نظراً لحساسية الحديث عن القرآن، ولقدسيته ومنزلته في قلوب المسلمين،

فيقول:"هناك من يرى أن من الواجب مهاجمة اللاعقلانية في عقر دارها وهذا خطأ في رأيي،لأن مهاجمة الفكر اللاعقلاني في مسلماته في فروضه في عقر داره يسفر في غالب الأحيان عن إيقاظ، تنبيه،رد فعل، وبالتالي تعميم الحوار بين العقل واللاعقل، والسيادة في النهاية ستكون خاضعة حتماً للاعقل ؛لأن الأرضية أرضيته والميدان ميدانه،والمسألة مسألة تخطيط" [(٣)]أ.ه

ومراده بمصطلح (اللاعقلانية): المتمسكين بالكتاب والسنة وماكان عليه سلف الأمة، لأنه صرح أن هذا هو مشروعه وأنه يستهدف هذه الفئة وهو يرفع ويمجد الفلاسفة المقدسين للعقل ولهذا انتقاؤه لعباراته يفهم مرادها من قرأ كتبه واستوعبها.

وهو يشير في موضع آخر إلى هذا التحفظ والحساسية في بيان آراءه فيقول:" لا الوضعية الثقافية والبنية الفكرية العامة المهيمنة، ولا درجة النضوج الثقافي لدي المثقفين أنفسهم، يسمح بهذا النوع من الممارسة الفولتيرية للنقد اللاهوتي، ولا السياسة

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن الكريم " ص ٢١

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن "ص٢١-٢٢والجابري لم يقتصر على الإعجاب بالمستشرقين بل حاول أن يقلل من شأن وأهمية الدراسات القرآنية عند علماء المسلمين انظر: نفس المصدر ص٢٣.

(٣) الجابري "التراث والحداثة" ص٢٥٩

تسمح، وبطبيعة الحال فالإنسان يجب أن يعيش داخل واقعه لا خارجه حتى يستطيع تغييره"أ.ه[1]ـــ

ولاحظ عبارته "النقد اللاهوتي " يقصد ما يتعلق بنصوص الوحي، و"فولتير"[2] الذي يشير إليه كان من أكثر الناس نقداً للدين ولمصادر الوحي، ولهذا لم يقل نقد نص القرآن الكريم والسنة النبوية وإنما استعار هذا التعبير بناء على منهجه المتسق وهو البعد عن أي عبارة ممكن أن تستفز القارئ العربي المسلم.

وبغض النظر عن الجابري ومقصده إلا أن هذا ليس منهجاً علمياً ولا موضوعياً فالأصل أن الباحث يفصح عن مراده ويكون بألفاظ واضحة لا تحتمل معان متعددة.

٢-الجابري يتحدث بلغة فيها شيء من التعالي بدأً من العنوان (في التعريف بالقرآن الكريم) وكأن القارئ العربي المسلم لم يعرف ولم يتعرف على القرآن إلا بعد كتاب الجابري،ومما يرجح تفسيرنا لهذا التصور أنه يصف اللذين جهلوا القرآن بـــ(كثيرين) بقوله:"كل ذلك جعلني انصرف إلى التفكير في "مدخل إلى القرآن الكريم "مدفوعاً في ذلك برغبة عميقة في التعريف به للقراء العرب والمسلمين وأيضاً للقراء الأجانب تعريفاً ينأى به عن التوظيف الأيدلوجي،والاستغلال الدعوي الظرفي من جهة، ويفتح أعين الكثيرين ممن قد يصدق فيهم القول المأثور " الإنسان عدو ماجهل"أ.هـــ[3]

وهل القرآن إلا مصدر للعقيدة والدعوة، والجابري رغم عدم تخصصه في القرآن وعلومه ولا في اللغة وعلومها ولا في العقيدة الإسلامية وعلومها إلا أنه يتحدث بلغة متعالية ويتكلم نقداً وتأصيلاً في غير فنه وهذا من العجائب.

٣-إطلاق ألفاظ ليس فيها احترام لقدسية القرآن وأنه كلام الله مثل: "الظاهرة القرآنية"[4]، وتعبيره عن القرآن المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بأنه "تجربة روحية "[5]، أو "تجربة الوحي"[6]،وعبارة "الكون والتكوين "[7] فكأن القرآن تكون وأصبح كتاباً كغيره من الكتب، والقرآن لم يتكون من فعل أحد بل هو تنزيل من رب العالمين، وهي لا

---

(١) المصدر السابق.

٢ تقدم التعريف به في مبحث التعريف بالاستشراق الفرنسي.

٣ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٤.

٤ المصدر السابق ص ١٩.وهذه العبارة أطلقها بعض المفكرين الإسلاميين مثل مالك بن نبي وهو أمر لا يسلم له لما فيه من إشـــعار بعدم إلهية القرآن وأنه غير بشري.

٥ المصدر السابق ص٢٤

٦ المصدر السابق ص١٠٦، ٤٢٩.

٧ عقد بابا في كتابه بعنوان (القرآن مسار الكون والتكوين) ص١٦٦،١٤٩.

تستغرب من المستشرقين الذين لا يدينون بدين الإسلام ولا يؤمنون بالقرآن وأنه وحي من عند ولكن نستغرب من الجابري الذي يستجلب مثل هذا الألفاظ في إطلاقها على كتاب الله عزوجل، والجابري يبين مراده بالظاهرة القرآنية وأن القرآن الذي هو كلام الله يدخل ضمن هذا المفهوم وهذا من سوء الأدب مع القرآن يقول:"ونحن نقصد بـــ" الظاهرة القرآنية "ليس فقط القرآن كما يتحدث عن نفسه في الآيات التي ذكرنا قبل بل ندرج فيها أيضاً مختلف الموضوعات تطرق إليها المسلمون..."أ.هـــ[1]، و لايتحرج الجابري من أطلاق "التحريف" على القرآن أو أنه زيد فيه ونقص منه ويعزوها إلى المصادر السنية.[2]

والجابري كذلك يطلق بعض الألفاظ التي لا تليق بمقام النبي وهي ألفاظ استخدمها المستشرقون الذين لا يدينون بدين الإسلام فعلى سبيل المثال: يورد الجابري رواية ضعيفة متهالكة فيها وصف النبي بما لا يليق

فيقول –واصفاً حالات نزول الوحي عليه –:"وتقول رواية أخرى:(كان إذا نزل عليه الوحي وقذ لذلك (خارت قواه)[3]كهيئة السكران)"[4]،وفي موضع آخر يصف النبي بـــــ(الاضطراب)، فيقول:"ولذلك تجده يعاني حين نزول الوحي عليه حالات خاصة من الاضطراب"أ.هـــ[5]، ومرة يقول عنه"كان ينتابه شيء من الشك والضعف"أ.ه[6]

٤–استخدام عبارات غير مباشرة تشير إلى معانٍ لا تجوز حول القرآن، ولعل أبرز مثال على هذا لما قرر الجابري مسألة (أمية النبي صلى الله عليه وسلم)[7]، وأطال البحث فيها و خلص إلى نفي أمية النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال في ختام البحث:"وهل يستطيع اليوم أمهر الكتاب وأعلاهم شأناً أن يأتي بمثل القرآن أو بمثل سورة من سوره ؟ بل إنه لا أحد من الشعراء اليوم يمكن أن يأتي بشعر يماثل شعر

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٢٣.

٢ المصدر السابق ص ٢٢٢،٢٢٣، ٢٣٢

٣ هذه من تفسير الجابري مع أن هناك رواية أخرى ضعيفة فسرت المراد (كان إذا أوحي إليه وقف لذلك ساعة)،أنظر:الألباني "ضعيف الجامع " مرسل برقم (٦٥٩١).

٤ المصدر السابق ص١٠٦، وهذه الرواية حكم عليها الألباني بالضعف الشديد وقال:" قلت: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ فإنه مع إرساله؛ فيه جابر وهو ابن يزيد الجعفي، وهو ضعيف؛ بل اتهمه بعضهم."أنظر:الألباني "سلسلة الأحاديث الضعيفة "،(ط١، الرياض، دار المعارف، ١٤١٢ه)برقم (٤١٧٦).

٥ المصدر السابق ص١٠٦، وسيأتي مزيد بسط حول هذه العبارات لأنه أسلوب تشكيك في أن النبي بسبب هذه الأعراض البشرية يتخيل أنه يوحي إليه كما زعم المستشرقون والجابري أوردها في نفس السياق.

٦ الجابري "مدخل إلى القرآن" ص٤٣٠

٧ ستأتي الإشارة لهذه المسألة في القضايا التي نقلها الجابري عن المستشرقين في المطلب الأخير من هذا البحث.

المتنبي مثلاً،ولا بخطبة مما ثلة لخطبة قس بن ساعدة أو بمقامة من جنس مقامات الهمداني أو الحريري، ولا بقصائد تتطابق مع قصائد نزار قباني ذلك لأن الإبداع في القول كما في الرسم والنحت كما في الفكر والفلسفة لا يمكن تقليده،لسبب بسيط هو أن التقليد هو بالتعريف: غير الإبداع، والوحي المحمدي –القرآن – إذا نظر إليه من المنظور الأدبي فهو قمة البلاغة والإبداع، أما من المنظور الديني فهو تجربة روحية فريدة"[1].

وهذا الأسلوب لا يليق بالقرآن الذي هو كلام الله حتى يقارنه الجابري بالإبداع في شعر المتنبي أو خطب قس أو مقامات الهمذاني والحريري فضلاً عن شعر نزار، إننا أمام أسلوب لا يحفظ للقرآن قدسيته فالمفهوم واضح في نهاية كلام الجابري من المقارنة حيث بين أن القرآن من الناحية الأدبية فهو قمة في البلاغة والإبداع فهذا هو الجانب البشري الذي يمكن محاكاته، أما الجانب الإلهي فهو من المنظور الدين تجربة روحية فريدة من عندالله.

ثانياً: منهجية البحث والنقد: استخدم المستشرقون عدداً من المناهج التي توصلوا بسببها إلى محاولة التشكيك في الإسلام ومصادره والتشويش عليه وصبغها بالصبغة العلمية والموضوعية، والجابري حذا حذو المستشرقين في هذه المناهج ومنها على سبل المثال:

المنهج التاريخي الوصفي:يقصد به دراسة أي قضية تتعلق بالقرآن أو النبي محمد صلى الله عليه وسلم أو الشريعة دراسة تاريخية ومعرفة المؤثرات التي دخلت عليها كالسياسة والثقافات الأخرى والنواحي الاجتماعية والاقتصادية ليصلوا بها إلى معرفة الخلل، هذا الكلام طبقه الغربيون على دراسة المسيحية وتاريخها وتاريخ تطورها لأنه دخلها التحريف وكيف وصلت إلى ذلك[2]، ولكن هذا لا يصدق على القرآن ولا على رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فهي عبر العصور حفظت من التغيير والتبديل، فالمستشرقون حينما يدرسون القرآن يذكرونه مقارنة بالكتب السماوية المحرفة ويستخدمون التاريخ ليثبتوا تأثره بهذه الكتب أو تأثر النبي صلى الله عليه وسلم بالشخصيات الفارسية أو اليهودية بزعمهم.[3]،وصرح الجابري بمثل هذه المناهج في

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن الكريم " ص٩٤.

٢ انظر: العمري "مناهج المستشرقين ٤٩٧/١

٣ انظر: حسن حنفي "دراسات إسلامية " (ط١، دار التنوير، ١٩٨٢م) ص٢٢٨؛ساسي الحاج "الظاهرة الاستشراقية ١٦٨/١.، وتقدمت الأمثلة في مبحث دعوى المسشرقين بتأثير الديانات السابقة على القرآن وكذلك ترداد الجابري لها.

مواضع عدة.[1]،واستعمل الجابري المنهج التاريخي في قضية ترتيب القرآن، فقد تابع المستشرقين الذين أكدوا هذه القضية فسار على تقسيم مصطلح "القرآن " إلى مراحل زمنية وأنه كان في مرحلة من مراحله الأولى تلقياً شفهياً و وكان يمكن أن يدخله الغلط في هذه المرحلة ولهذا هو يرجح أن أول أية جاءت بذكر القرآن هي آية سورة القيامة (لا تحرك به لسان لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه)[القيامة:]، وأن مصطلح "القرآن" جاء متأخراً فلا يرى أن تكون سورة "ق" مقدمة على سورة القيامة" لأنه –في نظره – كانت مرحلة مقروء وليس قرآنا مكتملاً فيقول:"لقد خاطبت سورة القيامة الرسول الذي كان يكرر في عجلة ما يأتيه به جبريل موضحة بأن الأمر يتعلق بمقروء يقرأه له جبريل إلى أن يحفظه في صدره وبالتالي فلا موجب للخوف من أن يفلت منه شيء !"أ.ه[2]

ويستخدم الجابري المنهج التاريخي، ليصل إلى نتيجة لتبرير تجاوز ما قرره علماء الإسلام حول مباحث علوم القرآن التي أصلت وقعدت لمنهج يحفظ به القرآن من العبث ؛طرح الجابري أسئلة تشكيكية وقد بحثها علماء التفسير والمختصون بالقرآن، ولكن حتى يبرر تجاوز طروحاتهم قال:"صحيح أن هذه الأسئلة ومافي معناها قد طرحت قديماً.... غير أن الآفاق التي طرحوها فيها وبالتالي الأجوبة التي قدموها كانت محدودة بحدود معهود زمنهم الفكري والاجتماعي والحضاري العام... وبما أن عناصر كثيرة من ذلك المعهود قد تغيرت....فإنه لا بد أ نفقد بعض الأجوبة التي كانت صادقة في المعهود القديم شيئاً –قليلاً أو كثيراً –من مبررات صدقها مع الزمن "أ.ه[3]بهذا المنهج التاريخي وتسليطه على مرجعية التراث الإسلامي الأصيل، له نتائج خطيرة في إسقاط مرجعيته ومركزيته في فهم الإسلام.

المنهج التحليلي النقدي:يقوم المنهج التحليلي على تفتيت الظاهرة الفكرية إلى مجموعة من العناصر ثم التأليف بينها في حزمة لا متجانسة من الوقائع أو العوامل التي أنشأتها.[4]

---

١ انظر تبريره لمسألة ترتيب المصحف على حسب النزول وكيف استخدم معها المنهج التاريخي كما في كتابه "مدخل إلى القــرآن " ص٢٩.

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٥٤.

٣ الجابري "مدخل إلى القرآن "ص٢١٢.، وقد أورد هذا النص تحت باب بعنوان(جمع القرآن ومسألة الزيادة والنقصان)

٤ انظر: ساسي "الظاهرة الاستشراقية "١٦٨/١، العمري "مناهج المستشرقين ٥٠١/١.

وهو منهج تلفيقي غير علمي، والذي برز عند المستشرقين والجابري تحديداً في دراسته لجزئيات حول القرآن ليثبت مثلاً أثر الثقافات والديانات الأخرى على هذه المصادر، ومر معنا كيف شكك في تدوين السنة بعامل التأثر بالعصر الجاهلي [١]، وشكك في اللغة العربية ومعاجمها الأصيلة التي بها نفهم القرآن الفهم الصحيح بناء على أيضاً تأثر المعاجم اللغة بما دخل عليها من ثقافة العصر الجاهلي[٢]، وعند المسشرقين تقدمت الأمثلة على هذه الظاهرة.[٣]

المنهج المادي:والمقصود هو تفسير الوقائع التاريخية وما يتعلق بالوحي بالقضايا الاقتصادية المادية، وتقدم معنا أن هذه الآلية هي آلية غربية ماركسية، والمستشرقون من أمثال: مونتغمري وات [٤] وبروكلمان[٥] استخدموا هذا المنهج المادي الماركسي الاشتراكي[٦] ، والجابري كما تقدم أنه يستخدم نفس الآلية وصرح بها في كتبه.

المنهج الانتقائي:وهذا المنهج يقوم على انتقاء ما يوافق رأي الباحث دون ما يخالفه، والجابري يصح بهذا المنهج فيقول –عندما تبنى مسألة نفي المعجزات ما سوى القرآن–:"ولمعترض أن يقول:هناك ظواهر من قبيل المعجزات الخارقة للعادة مروية عن بعض الصحابة.... والآراء فيها مختلفة وهي كلها تراث لنا، ومن حقنا،بل من واجبنا أن نختار منها ما لا يتعارض مع الفهم الذي لا ينسجم مع العقل ومعطيات العلم في عصرنا"أ.ه[٧]، فيصرح بأن انتقاءه يكون بما يوافق تفسيراته المادية التي لا تقيم للغيب وزناً؛فيحصل الانتقاء في القضايا التي يثار حولها البحث كما يفعل المستشرقون في انتقاء القضايا التي تشكك في الإسلام ومصادره [٨].

فالجابري برزت انتقائيته في:

أ–انتقى الموضوعات التي يبحثها حول القرآن التي هي أساس حجته وقدسيته كالوحي والنبوة والإعجاز.

---

١ انظر: الجابري "تكوين العقل العربي " ص٦٤

٢ المصدر السابق ص ٦٧.

٣ تقدمت الإشارة إليها في مبحث سابق وأشرنا إلى من وافق الجابري في هذه القضية من المستشرقين.

٤ العمري "مناهج المستشرقين ٥٠٣/١–٥٠٤.

٥ وتابعهم كذلك المستشرق الألماني "هوبرت جريمي"، انظر:المصدر السابق ٥٠٥/١–٥٠٦.

٦ وممن نقد هوبرت في تفسيره المادي لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم المستشرق الهولندي "سنوك هرجرونيه" انظر: مناهج المستشرقين ٥٠٧/١.

٧ الجابري:مدخل إلى القرآن " ص١٨٨

٨ انظر: مناهج المستسشرقين ٥٠٨/١–٥١١.

ب–انتقى المصادر التي جمعها ليأخذ منها ما يوافق طرحه.وحرص على المصادر المنحرفة في فهمها حول النبوة والوحي كالباطنية وغلاة الشيعة والفلاسفة.

ج– انتقى في بحثه حول القرآن القضايا التي يمكن أن يلج منها لما يريد،وتشكك في الموضوعات المحورية كالوحي والنبوة.مثل اعتماده على المنهج التاريخي وادعاء تأثر الوحي وحملته بعوامل خارجية

د–أهمل المراجع السنية المعتمدة وعلماؤهم الموثوقين كشيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته التي كثرت وانتشرت كتبها لدى الموافق والمخالف في هذه القضايا كلها.[1]، مع تأكيدنا على أن هذا الإهمال وعدم الخوض في نقاش مع بحوث وتقريرات المدرسة السلفية الأثرية حول قضايا العقل والمنطق كان متعمداً فقد أشار الجابري في بعض تعليقاته إلى اطلاعه على كلام ابن تيمية ولكن قصره تعليق له على حكمه على حديث بأنه باطل.[2]، وانتقى من كلام ابن تيمية ما يوافقه ويؤيده حول معنى "الأمي " [3]،ثم هو يغفل كلام شيخ الإسلام الكثير والمستفيض كما سبق في قضايا المنطق والفلسفة والرد على أهل الكلام.

هـ–ويدخل في الانتقاء المنافي لصدق الوصول إلى الحقيقة أن الجابري إذا أراد أن يستدل لقضية كبرى ومشهورة عند أهل الإسلام ككقضية النبوة والوحي يورد من الأدلة ما يكون غير صريح ويؤدي الغرض الذي يسعى له كما فعل في الاستدلال على حقيقة الوحي والنبوة[4]، ولما جاء ذكر محنة الإمام أحمد بن حنبل انحاز إلى المعتزلة فقال:"والذي حدث في عهده ما عبر به بعض المستشرقين بـــ:

"الانقلاب السني" [5]يقصد لماجاء حكم الواثق ونصر السنة ضد المعتزلة.

المنهج الإسقاطي:والمقصود هو تعمد الباحث أن يحاول تطبيق نظرياته وقناعته بناء على صورته الذهنية على القضية التي يراد بحثها، فالمستشرقون مثلاً يؤمنون

---

١ على سبيل المثال: شيخ الإسلام ناقش الفلاسفة المتقدمين في كتابه "الرد على المنطقيين"، وأبطل المنطق الأرسطي وبين تهافته، وناقش الفلاسفة الإسلاميين وأبطل مذاهبهم كما في كتابه" درء تعارض العقل والنقل "، وأبطل منهج المتكلمين في كتابه "بيان تلبيس الجهمية " وأبطل مناهج الباطنيين في النبوة والرسالة والقرآن في كتب عديدة ككتابه " النبوات" والمجلد الثاني من الفتاوى " وكتابه " بغية المرتاد".

٢ انظر: الجابري" مدخل إلى القرآن الكريم " ص١٣٥ حاشية رقم ٢٦.

٣ المصدر السابق ص ٩٨

٤ انظر: مبحث مفهوم الوحي ص ١١٦، وإيراده للأحاديث التي في إثبات حقيقة الوحي وقد زعم أنها الرؤى المنامية فقط.، وأهمل الأحاديث المتواترة في كيفية الوحي وأنه يقظة وحقيقة لا مناماً.

٥ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٢٣

بالمسيحية واليهودية وينتمون إلى هذه الثقافة، فأكثروا من حشد الشبهات لإثبات أن النبي والقرآن فيهما تأثر واضح باليهودية والنصرانية[1] أو الديانات السابقة كما فعل كذلك الجابري وتقدم معنا متابعته للمستشرقين في ذلك [2]، وأيضاً تفسير الوقائع والأحداث بناء على النظريات والقناعات كما تقدم معنا تفسير الجابري لتدوين الحديث واللغة من منظور تاريخي ماركسي لكي يشكك في ثبوت الحديث وفهم القرآن[3].

ثالثاً: التعامل مع المصادر في بحثه حول القرآن:

لقد ظهر الخلل واضحاً وبيناً في بنية الكتاب المعتمدة على منهجية غير سليمة في انتقاء المراجع والمصادر التي يحاول الجابري أن يقدم رؤيته فيها والتي كان لها أثر واضح في النتائج التي توصل إليها أو تركها ليصل إليها القاريء ومنها:

١-الجابري بنى قاعدة في مصادر كتابه "مدخل إلى القرآن "وهي: أن كل ما كتب في التراث فهو مصدر معتبر عنده ولا غبار عليه ولا يتلتفت لصحة هذه الأقوال أو شذوذاتها أو أنها تعود على الوحي والنبوة بالإبطال أو أنها تسقط مفهوم الشريعة ومرجعية الوحي، كل هذا لا اعتبار له عند الجابري، فيقول – موضحاً قاعدته في هذه المصادر التي هي التراث في نظره-:"إننا نعتبر جميع أنواع الفهم التي شيدها علماء المسلمين لأنفسهم حول القرآن، سواء كظاهرة بالمعنى الذي حددناه هنا أو كأخبار وأوامر ونواه، هي كلها تراث "أ.هـ [4]

ومن خلال الأمثلة يتبين لنا ماهي المذاهب والأشخاص الذين ينقل عنهم الجابري موقفه من القرآن ويعتد بآراءهم:

المثال الأول: ينقل عن الفيلسوف الفارابي[5] في قضية خطيرة وهي الوحي والنبوة، والفارابي قرر فيها تقريرات بعيدة عن الإسلام بل هي مناقضة للوحي والنبوة فيقول

---

١ انظر: المطلب الثالث ضمن المبحث الأول من هذا البحث.

٢ انظر: الجابري "تكوين العقل العربي "ص٢٠٠؛ الجابري "العقل الأخلاقي" ص٢٣٢.

٣ انظر: ما قرره حول التفسير المادي لقضية عدم استجابة قريش لدعوة التوحيد في المدخل ص١١١.

٤ الجابري "مدخل إلى القرآن الكريم " ص٢٦، وتطبيقاً لهذه المنهجية يعرض الجابري المصادر السنية والشيعية في مستوى واحد من الوثوقية والاحتجاج وخاصة في مسائل تتعرض لقدسية القرآن وحفظه مثال ذلك عقد بابا بعنوان (جمع القرآن بين المصادر السنية والمراجع الشيعية) انظر: المدخل ص٢١٧.

٥ الفارابي هو:أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان التركي الفيلسوف شيخ الفلسفة المشهور،تركي ووالده من أمراء الأتراك، واتقن عدداً من اللغات، وكان يتزهد على طريقة الفلاسفة ويحب الوحدة وأكثر من التصنيف، كان يلقب بـ"المعلم الثاني " في مقابل أرسطو "المعلم الأول"،اهتم بفلسفة ارسطو كثيراً وشرحها، وكانت وفاته سنة ٣٣٩ه مقتولاً على يدي لصوص قطاع طرق،. انظر: الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٤١٨/١٥؛بدوي "موسوعة الفلسفة"٩٣/٢.

الجابري–مقرباً وشارحاً لمذهبه–:" " (ويسمى أيضا العقل الفعال، وواهب الصور للمواد، ومرتبته مرتبة الملك جبريل في الخطاب الديني). ومن هذا الاتصال عبر العقل العاشر يتلقى الإنسان المعرفة الحقيقة، بالله والطبيعة والإنسان، إما على شكل معرفة نظرية برهانية، وهذا هو "الفيلسوف"، وإما على شكل مثالات وصور بيانية، وهذا هو "النبي" الشخص من البشر الذي يوحى إليه، والفرق بين الفيلسوف والنبي في نظر الفارابي هو أن الفيلسوف يرقى إلى مرتبة " الاتصال" بواسطة المعرفة الواسعة والنظر الدقيق المبني على التجريد والاستدلال، بينما النبي يفضل ما أوتي من خيال قوي نافذ "أ.هـ"[١]

فالفارابي يقرر أن النبوة يمكن أن تحصل بالاكتساب وهذا الفهم صرح به الجابري معلقاً على هذا النقل فقال:"وإذا كان مفهوماً أن الفيلسوف قد يصل إلى هذه المرتبة بالاكتساب.."أ.هـ"[٢]، بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية نص على أنه الفارابي يفضل الفيلسوف على النبي.[٣]، ويقول عنه أيضاً أنه يقول بأن الأنبياء حقيقة دعوتهم للجمهور تخيلية بمعنى أن ما أخبروا به من أمور الغيب واليوم الآخر لاحقيقة لها بل هي خيال وتمثيل.[٤]، وكذلك القول بإنكار المعاد.[٥]، والجابري رغم هذا القول ومناقضته لأصول الإسلام لم يتعقبه بل إنه شرح مراده وقرب معناه مقراً ومعترفاً بأنه رأي معتبر في التراث.[٦]

المثال الثاني:نقل مذهب الشيعة الاثنى عشرية الغلاة فيقول:"الشيعة يقرنون أو يساوون بين الولاية و النبوة [٧]فهم يميزون بين النبي والرسول، فالرسول هو الذي يوحى إليه ويكلف بتبليغ الرسالة، أما النبي والإمام فيوحى إليهما ولكن من دون أن يكلفا بتبليغ رسالة جديدة...(ثم يبين ويؤكد المعنى الذي يريد يصل إليه)..وأما ختم النبوة بمجيء خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم فهو الرسالة وبالتحديد "نبوة التشريع" التي تتضمن بيان الفروض والأحكام، أما النبوة بمعنى تلقي الكلام الإلهي فهي

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٢٨.

٢ المصدر السابق.

٣ أحمد بن عبدالحليم بن تيمية "درء تعارض العقل والنقل " تحقيق د. محمد رشاد سالم،(ط٢، الرياض، نشر جامعة الإمـــام، ١٤٢٢ه) ١٠/١

٤ المصدر السابق ١٨٠/١

٥ المصدر السابق ٣٨٤/٧

٦ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٢٩.

٧ لا نسلم للجابري بهذه النتيجة فهذا رأي بعضهم بل فلاسفتهم فقط، وليس مجال البحث لمناقشته والرد عليه.

مستمرة في أشخاص الأئمة "أ.هـ"[1]، ثم نقل عنهم أنهم تأثروا بالفلسفة الباطنية وقرروا "أن علم الإمام سيكون أكمل وأتم من علم الأنبياء السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم".[2]

المثال الثالث: ثم ينتقل الجابري إلى المتصوفة وتقريرهم للولاية والنبوة ويبين خلاصة مذهبهم فيقول: "يجمع المتصوفة السنيون[3] على ترتيب الأولياء بعد الأنبياء لكن تمييزهم بين النبي والرسول يعود بهم إلى نوع من المساواة بين الولاية والنبوة.... ويصبح الفرق بين النبي والولي هو: أن الأول: نبي بالفطرة، والثاني: نبي بالاكتساب"أ.هـ[4] بل أضاف في بيان فلسفته الباطنية بأن صنفاً من الأولياء يأخذون عن جبريل عن محمد مباشرة.[5]

المثال الرابع: الفيلسوف ابن رشد[6]: بعد أن سرد مذاهب المتكلمين والباطنية الشيعة والمتصوفة الفلاسفة ختم الكلام ببان موقف ابن رشد من الوحي والقرآن والنبوة، وحتى تفهم تقريرات ابن رشد لا بد أن نشير إلى نزعته الباطنية فهو يقول بالظاهر والباطن والخاصة والعامة كعامة الفلاسفة،يقول ابن رشد: "وهاهنا أيضا ظاهر(يعني في نصوص الوحي) يجب على أهل البرهان (يعني الفلاسفة)تأويله وحملهم إياه على ظاهره كفر.... وأهل البرهان، مع أنهم مجمعون في هذا الصنف أنه من المؤول، فقد يختلفون في تأويله، وذلك بحسب مرتبة كل واحد من معرفة البرهان... وأما من كان من غير أهل العلم فالواجب عليه حملها على ظاهرها وتأويلها في حقه كفر لأنه يؤدي إلى الكفر..فمن أفشاه له من أهل التأويل فقد دعاه إلى الكفر، والداعي إلى الكفر كافر. ولهذا يجب أن لا تثبت التأويلات إلا في كتب البراهين، لأنها إذا كانت في كتب

---

١ المصدر السابق ص١٣١

٢ المصدر السابق ص١٣٤-١٣٥

٣ ونقل الإجماع هنا غير صحيح، فالمتصوفة على درجات ولا يمكن هذا التعميم، والبحث ليس من شأنه مناقشة هذه القضايا التي تعترضنا أثناء النقول عن الجابري.

٤ المصدر السابق ص١٣٢

٥ المصدر السابق ص١٣٦.

٦ ابن رشد الحفيد: تمييزاً له عن جده شيخ المالكية بنفس الاسم، واسم هذا الفليلسوف الفقيه: محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي، ولد سنة ٥٢٠ه، ولي قضاء "قرطبة "،وأقبل على العلم بجد واجتهاد، حتى أصبح عالماً في فنون مختلفة منها الفقه والطب، وكذلك الفلسفة وهي ما اشتهر بها وألف فيها الكثير واهتم بكتب" أرسطو" على وجه الخصوص وشرحها، ومن أشهر كتبه "مناهج الأدلة " و"فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، وكانت وفاته سنة ٥٩٤ه، انظر:سير أعلام النبلاء ٣٠٧/٢١،بدوي"موسوعة الفلسفة" ١٩/١.

البراهين لم يصل إليها إلا من هو من أهل البرهان "، يقول: " من هذا الصنف أية الاستواء وحديث النزول " أ.هـ[1]

فالجابري يحتفي بابن رشد بقوله–ملخصاً فلسفته:"إن الدين والفلسفة بناءان مستقل كل منهما عن الآخر وأن مسائل كل منهما يجب أن تفحص في البناء الذي تنتمي إليه لأن لكل منهما أصوله ومبادئه"أ.هـ[2]

وهذا البناء المستقل وهو الفلسفة المكتسبة من الفيلسوف هو ند وصنو للنبوة فهي على حد تعبير ابن رشد –الذي نقله الجابري –:" الحكمة صاحبة الشريعة والأخت الرضيعة"، "وهما المصطحبتان بالطبع المتحابتان بالجوهر والغريزة "أ.هـ[3]،فالنتيجة واحدة وأن الفلسفة مصدر معرفي لا علاقة له بالوحي وهذا الذي يريد أن يصل إليه الجابري ويقرره.

ونستخلص النتائج من هذه الأمثلة التي سردها الجابري كنموذج لتفسير النبوة والوحي من خلال التراث –على حسب رؤيته – فيما يلي:

– أن الجابري قرر مذهب الفارابي أن النبوة مكتسبة وممكنة لكل أحد.

–وقرر مذهب الشيعة الإثنى عشرية بأن النبوة مستمرة في البشر بمعنى أنه يمكن أن يوحى إليهم،وأن علم الأئمة يكون أكمل وأتم من علم الأنبياء السابقين.

–وقرر أن مذهب المتصوفة السنيون على أن النبوة يمكن أن تكون مكتسبة للولي.

– وقرر أن الفلسفة الرشدية تقوم على أن الفلسفة هي ند للشريعة والوحي والنبوة وهي مصدر مستقل للمعرفة ولا تحتاج إلى الوحي ولا إلى الشريعة.

ولما ختم الجابري هذه المذاهب حول الوحي والنبوة قال:"هل نحتاج إلى خاتمه لهذا الفصل ؟ لنترك الأمر للقارئ، فقد وضعنا بين يديه ما يمكنه من استخلاص النتيجة التي يرتئيها !"[4]، وإذا كان منهج الجابري وصفياً لا نقدياً،لا يوجد إشكال كبير، ولكن الإشكال يكمن في أنه سرد كل هذه المذاهب المغالية في الانحراف والتي تكون صورة ذهنية خطيرة للقارئ عن مفهوم الوحي والنبوة وأن هذا هو منهج الإسلام الصحيح، و لم يسرد مذهب أهل السنة الحق ويورد حججهم كما أورد وبين حجج الفلسفات الباطنية

١ ابن رشد "فصل المقال " ص ١١٢

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٤٥.

٣ المصدر السابق ١٤٦.

٤ المصدر السابق.

فهذه انتقائية من الجابري منافية للموضوعية التي التزم بها في كتابه، وهذا هو نفس ما يفعله المشرقون، كما فعل المستشرق الفرنسي:هنري كوربان حيث كانت له عناية خاصة بتفسير الفرق الباطنية [1].

٢-عدم اعتماد الجابري على منهج علمي منضبط يحاكم إليه ما يأخذه ومايتركه و مايحتج به ولا مالا يحتج به من مصادر لفرز ما يسميه أنه "تراث "، فهو ينقل عنه في التعاريف وبناء المصطلحات التي عليها تبنى التصورات، فلا يعتد بصحة النقل الحديثى [2]، وهو ليس من أهل هذا الفن، ولم يكلف نفسه النقل أو تقليد علماء الحديث في أحكامهم على الروايات التي ينقلها ليستدل بها، ولهذا لم يشر كثيراً إلى السنة النبوية وتفسيرها للقرآن أو أنها مرجع للتراث بل له كلام في موضع آخر ليس في هذا الكتاب ليس صريحاً وإن كان معناه يحتمل أنه لا يعتد بالسنة في الوصول إلى الحقيقة كما يعبر فيقول:"إذاً فالاتصال بالحقيقة العليا (الله)ولذلك يجب الانصراف الاهتمام إلى القرآن فهو وحده مستودع الحقيقة:عقيدة وشريعة "أ.هـ٣. ورحم الله شيخ الإسلام حينما قال:" وَإِذَا تَدَبَّرَ الْعَاقِلُ وَجَدَ الطَّوَائِفَ كُلَّهَا كُلَّمَا كَانَتْ الطَّائِفَةُ إلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَقْرَبَ كَانَتْ بِالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ أَعْرَفَ وَأَعْظَمَ عِنَايَةً وَإِذَا كَانَتْ عَنْ اللَّهِ وَعَنْ رَسُولِهِ أَبْعَدَ كَانَتْ عَنْهُمَا أَنْأَى"أ.هـ[4]

٣-الجابري أسقط مرجعية التراث بالتشكيك تارة وبالمنهج التاريخي تارة أخرى، فملخص ما يشير إليه في تقريراته، أن البحوث والدراسات الإسلامية الأصيلة حول القرآن وعلومه كتبت في عصر غير عصرنا، وهي لا تناسب هذا العصر ولا تجيب عن تساؤلاته، فهذه الأجوبة القديمة لم تعد صالحة لزماننا لتغير المعطيات وبهذه المنهجية التاريخية المعروفة أسقط مرجعية هذه المصادر الأصلية.[5]

٤- نقله للروايات الشاذة والمطرحة حول القرآن أو حول ماورد في بعض كتب علوم القرآن من خطأ حول القرآن[6]وهو نفس المنهج الذي اتخذه المستشرقون بغية التشكيك في القرآن كما تقدم.

---

(١) العمري "مناهج لمستشرقين" ٣٤٨/١.

٢ يورد الجابري روايات كثيرة بلا خطام ولازمام فالذي يهم الجابري ما يخدم فكرته فهو لا يعرف الصحيح من السقيم وهذه عادة المتكلمين والفلاسفة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أنهم من أجهل الناس بسنة النبي صلى الله عليه وسلم

٣ الجابري "تكوين العقل العربي " ص١٤٠

٤ ابن تيمية "مجموع الفتاوى "٩٦/٤

٥ تقدمت الإشارة إلى أمثلة في مبحث المنهج التاريخي الوصفي الذي استخدمه الجابري، وانظر: مدخل إلى القرآن ص٢١٢

(٦) الجابري "مدخل إلى القرآن" ص١٢٥ ومابعدها.

رابعاً: منهجية الترجيح بين الأقوال المختلفة:

الجابري لا يعتمد منهجية مطردة في الترجيح بل يترك الباب مفتوحاً ولا يرجح شيئاً وفي غالب الأحيان ينحاز ضد منهج أهل السنة في تقرير معتقدهم في القرآن، في ترجيحاته للآراء لا يظهر أي منهجية واضحة ولا حجة ولا برهان على ما يعضد رأيه، بل في كثير منها استحسان عقلي فقط من قبله، وهنا نقول(عقلي) يخصه وليس كل من قرأه بالضرورة سوف يصل إلى ما وصل إليه الجابري، وتراه يعرض عن سرد الأقوال التي تخالف ما يرجحه ولا يذكر حجتها رغم قوتها وصلابتها وتماسك حجتها.

فعلى سبيل المثال لما تعرض لتعريف الإمام الطحاوي [1]للقرآن علق بتعليق غريب وعجيب،ونقد هذا التعريف بطريقة غير علمية فقال:" ومن أكثر التعاريف مذهبية وأبعدها عن حق الاعتراف بحق الاختلاف في الفهم قول القائل:"القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر "[2]– ثم استطرد معلقاً –على كلام الإمام الطحاوي في قوله "بلا كيفية ": والمقصود أن كون القرآن كلام الله لا يترتب عليه أن يكون هذا الكلام ذا كيفية ككلام الواحد من البشر وبالتالي فلا يجوز التساؤل عن حقيقة هذا الكلام: هل هو كلام بالألفاظ أم كلام نفسي ؟وهل هو صفة زائدة على الذات كما هو الحال في كلام البشر أم أنه هو عين الذات "إلخ.."أهـ[3]

الطحاوي في نظره مذهبي متعصب كما يشير إليه،وهنا هدم قاعدته في اعتبار صحة كل مافي التراث ولهم حق الاختلاف، وأمر آخر لما جاء يفسر قوله "بلا كيفية" أبان عن عدم عنايته بتحرير مذهب أهل السنة، ولا عجب فهو فيلسوف متكلم ومنهجه كما تقدم ضد المنهج الذي عليه السلف، فيقول مقصود الطحاوي بأنه لا يجوز التساؤل عن حقيقة القرآن هل هو كلام الله بألفاظه أم هو كلام نفسي؟، وهذه المسألة معروفة

---

١ الطحاوي هو:الإمام أبو جعفر محمد بن أحمد بن سلامة الطحاوي ولد سنة ٢٣٩هـ تتلمذ على الإمام المزني الشافعي والنسائي وغيرهما كان عالماً متبحراً في شتى الفنون وكان ثقة ثبتاً، من مصنفاته: شرح معاني الآثار، شرح مشكل الآثار،كانت وفاته سنة ٣٢١هـ، انظر: محمد بن أحمد الذهبي "سير أعلام النبلاء" ٢٧/١٥.

٢ هذا النص للإمام الطحاوي في عقيدته المشهورة المختصرة وشرحها ابن أبي العز لحنفي وكانا على طريقة السلف في الاعتقاد انظر: ابن أبي العز الحنفي "شرح الطحاوية "، تحقيق: التركي والأرناؤوط، (ط٣، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٣٨هـ)، ٢٧١/١.

٣ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٨-١٩.

ومبسوطة ومتواتره في كتب السلف وكتب مخالفيهم وأنهم بسطوا القول بأنه بألفاظه وحروفه ومعانيه من الله وأنه ليس بكلام نفسي وردوا على من قال ذلك.[1]

والجابري يستمر في تجاوز المنهج العلمي ويبرر تصرفه بقوله –بعد أن ذكر بعض التعاريف حول القرآن–:"إننا لا نهدف إلى مساءلة هذه التعريفات عن خلفياتها المعرفية والمذهبية والأيدلوجية لا نريد الدخول معها في جدال يعطيها فرصة الدفاع الأيدلوجي عن نفسها، بل نريد أن نسلك إزاءها مسلكاً مغايراً تماماً نريد استعادة الأسئلة القديمة التي كانت وراء كونها وطرح رؤى أخرى جديدة.."أ.هـ[2]

ومما يزيد الأمر عدم اتساق ووضوح في بحوثه أنه لا يميز بين أهل السنة وغيرهم خاصة في المباحث العقدية وهو يحتج بكل ماجاء عنهم ويجعلهم في ميزان واحد في تفسير الوحي النبوة مع الاختلافات الجوهرية التي يعرفها المتخصص في علم العقيدة، فعلى سبيل المثال يعقد فصلاً بعنوان:"النبوة عند أهل السنة:معتزلة وأشاعرة "أ.ه[3]

خامساً: اعتماده منهج الفلاسفة في بحثه حول القرآن:

وضح الجابري منهجيته في التعامل مع القرآن وفق منهجية الفلاسفة القائمة على التأويل وليس على الإستدلال بالحديث والأثر وفهم السلف، وهذه المشكلة المنهجية اتكأ عليها الجابري، والتي أشاد بها المستشرقون وطعنوا في أهل الحديث –الذين تعاملوا مع النص القرآني على ظاهره في معانيه الواضحة كما أرادها الله عزوجل –، ولم يقتصر الجابري على ذلك بل بنى قاعدة له أن هذا التأويل الذي ينزع إليه هو بناء على الموروث القديم الذي استفادوه من الحضارات والديانات السابقة ويمكن أن نفهم بها القرآن، فيعرف الجابري الموروث القديم ويقول:"و(الموروث القديم)والذي نقصد به: ذلك الخليط من العقائد والديانات والفلسفات والعلوم التي انتقلت إلى الدائرة العربية والإسلامية عبر الفتوحات..."أ.هـ [4]،ثم يبين كيف أن التأويل هو المنهج الصحيح في التعامل مع القرآن فيقول:"ومن هنا اكتسى الصراع بين الفكر الديني العربي، كما يتحدد داخل مجاله التداولي الأصلي وبين (الموروث القديم) شكل صراع بين اتجاهين يتنازعان المصداقية في فهم النص القرآني: اتجاه يتمسك بـ"الظاهر"، وآخر يقول بـ

---

١ ليس مجال البحث هو مناقشة هذه المسائل بل هو بيان تأثر الجابري بالاستشراق فلا حاجة بنا للرد عليه هنا ومناقشته حتى لا نخرج عن منهجية البحث

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١٩.

٣ المصدر السابق ص١١٥.

٤ المصدر السابق ص١٤١

"الباطن "وعلى الرغم من أن التمسك بـــ"الظاهر "كان يرمي أساساً إلى سد الباب على (الموروث القديم) الذي اتخذ التأويل مطية له... "أ.هـــ[١] وخلص إلى أن التمسك بالظاهر قاد إلى ظهور مايسمى بالمجسمة والمشبهة والحشوية.

ويمكن أن نذكر على هذه المنهجية ومن هذه الأمثلة:**تبني المنهج العقلي التأويلي للنص بحجة العقل:**

عقد الجابري فصلاً بعنوان (التأويل لا يعني اختراق المجال التداولي)[٢] وقرر فيه منهج المعتزلة والمتكلمين عموما في تأويل نصوص الوحي وصرفها عن ظاهرها بحجة العقل. ثم قال:"الحقيقة الدينية إذاً لا تتناقض مع العقل،بل قد يستلزم اللجوء إلى التأويل "أ.ه[٣]

ثم أورد مثالاً على هذا التأويل من كلام الفيلسوف "الكندي" [٤]الذي مدحه وأثنى عليه ودافع عنه أنه ليس من الفلاسفة الباطنية – حول تفسير آية من القرآن فيقول:":"إن الكندي يؤكد احترام أساليب اللغة العربية في التعبير، في ذات الوقت الذي ينحو فيه بالتأويل منحىً عقلياً صرفاً، وهكذا عندما سأله تلميذه المعتصم عن معنى آية: (والنجم والشجر يسجدان)[الرحمن:٦]، نبه على فساد التقيد بظاهر الآية لكون النجوم لايمكن أن يقع منها السجود الحقيقي المنصوص عليه في الشرع عند الصلاة، وقال إن معنى سجود النجوم هو جريانها في مداراتها والتزامها حركاتها التي تنشأ عنها الظواهر الطبيعية الجوية والأرضية..."أ.هـــ[٥]

والمتأمل في هذا النقل عن الجابري أنه ينص على أن التقيد بالظاهر فساد وأن التأويل الباطني العقلي أقرب إلى الصواب، وتفسير الكندي لا أثارة له من نص أو أثر بل هو محض تفسير عقلي لا يستند على برهان[٦].

---

١ المصدر السابق ص١٤٢

٢ المصدر السابق ص١٢٥

٣ المصدر السابق ص١٢٥

٤ يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي:الفيلسوفُ، صَاحِبُ الكُتُبِ ،وكان رأساً في المنطق اليوناني والتنجيم والطب وعلـــوم الفـــرس والهند ويقال عنه فيلسوف العرب، قال عنه الذهبي:"كان متهما في دينه، بخيلاً، ساقط المروءة، وثم بأن يعمل شيئاً مثل القرآن فبعـــد أيام أذعن عن العجز انظر: سير أعلام النبلاء ٣٣٧/١٢؛ جمال الدين القفطي " إخبار العلماء بأخبـــار الحكمـــاء" (ط١، بيـــروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ه) ص ٢٧٤

٥ الجابري "مدخل إلى القرآن" ص١٢٥.

٦ القرآن نص على أن هيئة السجود غير معلومة لنا كيفيتها فقال (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وذكر النبي صلى الله عليه وسلم أن هـــذا السجود حقيقي ولا يحتاج إلى تأويل كما في حديث سجود الشمس تحت العرش.، ورجح ابن جرير أن المـــراد بـــسجودهما:" ســـجود

سادساً: اعتماد المنهج التشكيكي: استخدم الجابري في غالب مؤلفاته ومشروعه الفكري –كما تقدم معنا– منهج المستشرقين وهو المنهج التشكيكي، والمشكلة أن هذا التشكيك يورده في الأصول الكبرى حول القرآن ؛والقرآن كله يقين في ثبوته وتواتره وإعجازه عند جميع المسلمين وعبر العصور، وعدم حسم الخلاف، هو استمرار في تأكيد مشروع الاستشراق ولهذا يستخدم الجابري طريقة الإشارة إلى هذه الأقوال الشاذة والمطرحة وكأنها يقينيات ولها حظ من النظر،وهذا يؤدي بالقارئ الغر– الذي لا حظ له من العلم – إلى الشك والريب في مرجعية كتاب الله. وهذه بعض الأمثلة من منهج الجابري:

المثال الأول: أشار إلى أن ختم نبوة النبي صلى الله عليه وسلم و إعجاز القرآن وتواتره مسألة فيها نظر وخلاف وقال بها طوائف من داخل المجال التداولي الإسلامي، يقول–معلقاً على بعض من عرف القرآن من علماء التراث الإسلامي–:"وصف النبي بأنه" خاتم أنبيائه"، ووصف القرآن بأنه "المنقول إلينا بالتواتر"،وصفه بأنه "المتحدى بإعجازه" فإذا كان الوصف الأول منصوصاً عليه في القرآن ومقبولاً من جميع المسلمين، فإن مذهباً إسلامياً يميز في النبوة –نبوة محمد–بين ماهو مختوم فعلاً وبين ماهو مستمر بصورة من الصور هذا من جهة، ومن جهة أخرى هناك من داخل دائرة الإسلام من يجعل "التواتر" و"الإعجاز"موضوع نظر "أهـ[1] وكأنك تقرأ نصاً لأحد المستشرقين.

المثال الثاني : عدم حسم بعض المصطلحات التي يبنى عليها التصور والاعتقاد في القرآن كتعريف الوحي ونحوه فهي من القضايا الخطيرة والشك واللبس فيها يعود على القرآن والشريعة بالإبطال.

يقول الجابري مؤكدا هذا المنهج:"إننا لا نعد القارئ بأكثر من اطلاعه على أجوبة غير قطعية ولا نهائية عن أسئلة تولدت لدينا من خلال اطلاعنا على الأسئلة التي طرحها كثير من القدماء."أ.هـ [(٢)].

ظلهما " مستدلاً بقوله تعالى (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ)انظر: محمد بن جرير الطبري "جامع البيان "،(ط١، دار هجر، ١٤٢٢هـ)١٧٦/٢٢.

١ الجابري "مدخل إلى القرآن "ص ١٨

(٢)الجابري:"مدخل إلى القرآن"ص٢٤.

يقول في موضع آخر:"ومن أجل هذا سنضع جميع التعريفات السابقة–(يقصد تعريفات القرآن والوحي)–ومثيلاتها بين قوسين (لا ننفيها ولا نعارضها ولا ننشغل بها أي أنشغال)" [(١)].

من خلال هذه النقول تأمل معي قوله (أجوبة غير قطعية ولا نهائية) وفي النقل الآخر(لا ننفيها ولا نعارضها) فهو يترك البحث مفتوحاً بعد أن نقل كما نص عليه في النقل (كثير من القدماء) فالجابري لوكان مراده بالتراث وهذه النقول كلام العلماء من أصحاب المذاهب المعتبرة الذي بنوا أقوالهم على الأدلة والبراهين لقلنا لابأس كلام مقبول، ولكن الجابري من خلال تصفح كتبه ينقل عن الفلاسفة في أكثر أقوالهم تطرفاً وعن الباطنية والصوفية وكل المنحرفين وأصحاب الأقوال الضعيفة والشاذة ثم يترك المجال للقارئ الذي يورث صورة ذهنية عند القارئ بأن الحق قد يكون مع هؤلاء، وهذا أسلوب يتظاهر فيه بالموضوعية وفي حقيقته طرح غير علمي ولا مفيد للقارئ الذي يتطلع إلى نتائج من هذه الأبحاث لا أن تزيد حيرته وتزيد في شكه حول مصادر التراث وأصوله وهذا أسلوب استشراقي قديم.

المثال الثالث: عندما عرض لمسألة جمع القرآن: قال:"هناك مسألة لم تهتم بها مصادرنا الاهتمام الذي تستحقه وهي الكيفية أو الطريقة التي تم بها نقل القرآن المكي المكتوب في الصحف من مكة إلى المدينة بعد الهجرة "أ.ه[٢]

سابعاً: تبني الآراء المنحرفة في تصورها تجاه الوحي والقرآن:

يتعجب القارئ في تصفحه لكتاب الجابري، جرأته في عرض المذاهب المغالية في موقفها من القرآن وإعجازه وحفظه وما يتعلق بقدسيته وأنه كلام الله وليس كلام البشر، وقد تقدم تمهيده لمثل هذه الآراء مثل نقله وإشادته بمذاهب الفلاسفة الباطنيين في النبوة وأنها مكتسبة وأن الفيلسوف قد يكون أفضل من النبي.، وهنا استخدم الجابري بعض الآراء المنحرفة ليقرر صحتها ومصداقيتها رغم قدحها في الوحي وعلى سبيل المثال:

المثال الأول: تصريحه بوقوع التحريف بالقرآن وأنه غير مستبعد، والتعريض بأنه دخله الزيادة والنقصان، وهي كما سبق قال بها المستشرقون وصرح بها التيار العلماني العربي ؛فنجد أن الجابري يقرر بعد استعراضه لقضية التحريف وما قاله الشيعة ثم يضيف فرية أخرى وهو أن السنة أيضاً قالوا بوقوع التحريف بنوعيه

(١) المصدر السابق ص٢٠

٢ المصدر السابق ص٢١٩

تحريف اللفظ والمعنى ثم قال:"هذه الأنواع من "التحريف" واقعة في القرآن بصورة أو أخرى من طرف علماء الإسلام تحت العناوين التالية: التأويل، الأحرف السبعة، القراءات،مسألة البسملة "أ.ه[١]، نعم وقع التحريف في المعنى أما اللفظ فهو محل إجماع، ثم يختم هذا الفصل بقوله:"ومع أن لنا رأياً خاصاً في معنى بعض هذه الآيات، فإن جملتها تؤكد حصول التغيير في القرآن، وأن ذلك التغيير حدث بعلم الله ومشيئته"أ.ه[٢]ـــ

ويقول بعبارة غير صريحة :"فإن المرجع في مسألة حفظه من الضياع كان في الدرجة الأولى هم قراؤه الذين يحفظونه عن ظهر قلب.." [٣]، فهو أغفل أن الله هو الذي تكفل بحفظه كما قال تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) [الحجر:٩]، ثم يستمر في التشكيك وتبرير هذا التشكيك بأن القرآن ليس كالتوراة والإنجيل لكن لا مانع أن نطرح أسئلة تشكيكية كما طرحت على التوراة والإنجيل والتي حصلت فيها الزيادة والنقصان فيقول: "ومع ذلك فإن هذا الفرق سواء أخذ بعين الاعتبار أو لم يؤخذ، لا يعفي من طرح ما يمكن من الأسئلة، أسئلة الكون والتكوين"[٤]، وعند سرده لطريقة جمع القرآن يقول:"ومع ذلك لا يبعد أن تبقى خارج هذا التأليف آية أو أكثر مكتوبة على رقعة أو عظم، أو غير مكتوبة لكن محفوظة في صدر هذا الصحابي "أ.ه٥، ما الفائدة من طرح مثل هذا التشكيك في حفظ القرآن؟ ثم يستمر في التشكيك فيقول:"غير أن الذين كانوا يحفظونه كله من أوله إلى آخره كان عددهم أقل "أ.ه٦

بل إن الجابري لم يرَ أي حرج ولا غضاضة في أن ينقل عن الكتب التي بلغت القبح والسوء في موقفها من القرآن كما هو الحال في كتاب "فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب" للطبرسي، فيقول:"وتؤكد بعض المراجع الشيعية المعتبرة (ثم ذكر هذا الكتاب) أن القرآن قد زيد فيه ونقص منه...وقد أورد هذا العالم الشيعي –الذي بقي يحظى بالاعتبار عندهم نصوصاً أثبتها في كتابه ذاك على أنها من جملة ماحذف من القرآن "٧

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٢٢٢، والجابري يصرح هنا بهدفه من إيراد هذه المباحث في كتابه.

(٢)الجابري "مدخل إلى القرآن" ص٢٣٢.

(٣) المصدر السابق ص٢٢

(٤) المصدر السابق ص٢١

٥ المصدر السابقة ص٢١٦

٦ المصدر السابق ص٢١٧

٧ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٢٢٦.

المثال الثاني: القول بـــــــ"الصرفة" والذي ملخصها أن الله صرف العرب وأعجزهم عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ومهد الجابري لتقرير هذا القول بقوله: وإلا فإنه من الممكن أن يأتوا بمثله.[١]، وقد مهد الجابري لتقرير مثل هذا الكلام وحتى يقبله القارئ بقوله:"هل القرآن بلغته ونظمه ومصحفه وحروفه هو كله كلام الله؟ أما أن معانيه فقط هي وحدها كلام الله ؟"أ.ه[٢] ثم عرض مذهب المعتزلة في معرض الثناء في ردهم على الديانات الأخرى وبرر تبنيهم لمثل هذا الرأي ثم قال:"وقد أراد المعتزلة أن يعطوا مفهوم الإعجاز القرآني طابعاً كلياً يحيث يسلم به العربي وغير العربي فربطوه بأمور تتعلق بالمعنى لا باللفظ كالإخبار بالغيب....ومنهم من اعتبره معجزاً بتدخل الإرادة الإلهية التي منعت العرب وصرفتهم عن الإتيان بشيء مثله"أ.ه[٣] ثم ذكر من قال بهذا القول.، ولاشك أن هذا القول يقدح في إعجاز القرآن وبيانه.

المثال الثالث: الوحي هو رؤيا منام فقط: وقد مهد لهذه القضية بأمرين: الأول أنه أطلق على الوحي" تجربة روحية "، الثاني: أنه لما ذكر في مبحث إرهاصات الوحي أشار إلى أنه كان عنده استعداد نفسي وروحي، وأشار الجابري إلى أن الوحي الذي كان يأتيه في غار حراء كان في المنام،وهذه القضية بالذات أشار إليها المستشرقون صراحة للوصول بأن الوحي إنما هو حالة نفسية، أشار إليها المستشرق "مونتغمري وات " وغيره فقد أشاروا في إلى أن الوحي في غار حراء كان مناماً وأن النبي كان يعيش في صفاء روحي ومع المنامات اعتقد أنه يوحي إليه.[٤]

والجابري تبنى هذا الرأي ويصبغه بصبغة علمية فيقول:"كما تؤكد الروايات أنـــه بهـــذا النوع من الرؤيا المنامية بدأ نزول الوحي على محمد صلى الله عليه وسلم، ذلـــك أنـــه حدث ذات ليلة من ليالي شهر رمضان الذي اعتاد فيه الخروج لجواره في غار حـــراء أن جاءه جبريل وهو نائم"أ.ه[٥]،ويقول في موضع آخر"إن محمد بن عبدالله قـــضى فـــي التحنف في الغار سبع سنين تلقى خلالها من جبريل أثناء رؤيا منامية "أ.هـــ[٦]، ويفتـــري

---

١ المصدر السابق ص١٨٥، للاستزادة حول قول النظام من المعتزلة بالصرفة انظر: مقالات الإسلاميين ٢٩٦/١،الفرق بـــين الفـــرق ص١٣٧،الملل والنحل للشهرستاني ص٥٠،الآمدي في أبكار الأفكار ٤٣/٥.

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن "ص١٧١.

٣ المصدر السابق ص١٨٥

٤ انظر: العمري "مناهج المستشرقين " ٥٩٨/٢؛ رضوان "أراء المستشرقين حول القرآن "٣٨٩/١، ممن وافـــق "مـــونتمغمري وات " المستشرق الفرنسي "درمنغم" في هذه الشبهه.

٥ الجابري:مدخل إلى القرآن "ص١٠١.

٦ الجابري "مدخل إلى القرآن "ص١٠٤.

الجابري على مذهب أهل السنة فيقول:"أما عن رأيهم في حقيقة النبوة فيمكن القول إجمالاً أنهم يربطون النبوة بالرؤيا الصالحة "أ.ه[1]، ويعقب الجابري بتعقيب خطير يدل على مراده وهو التشكيك فيورد حجة أهل السنة -بزعمه- على هذا المعنى فيقول:"وذلك انطلاقاً من بضعة أحاديث منها حديث أبي هريرة جاء فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الرؤيا الحسنة من الرجل الصالح،جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة) وفي حديث آخر قال: (ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة) واضح أن المقصود ب"بالرؤيا " هنا مايراه النائم "أ.ه[2]

المثال الرابع:يكثر المستشرقون من الحديث عن قضية تأثير اليهودية والمسيحية والديانات الأخرى على الإسلام وعلى الوحي وعلى النبي صلى الله عليه وسلم، والجابري تابعهم في هذه القضية وأشار إليها صراحة كما تقدم معنا في ملامح مشروعه الفكري، وهنا نبين بالأمثلة إيراده لهذه القضية التي تثير الشك في الوحي والنبوة كما قررها المستشرقون.

عقد الجابري باباً بعنوان "الوحي في اليهودية والمسيحية، والقرآن في الأسلام " ثم قال موضحاً هدفه من هذا الباب:"إن هدفنا هنا هو طرح التصور اليهودي والمسيحي للوحي وللنبوة -في وقت يكثر فيه الحديث عن حوار الحضارات والأديان-هو إبراز خصوصية تصور كل من الديانات السماوية الثلاث لموضوع هو أساس الاختلاف بين هذه الديانات ومنه تتفرع المسائل الأخرى المختلف فيها"أ.ه[3]

ويؤكد على مفهوم تأثر النبي والوحي والقرآن بالتوراة والإنجيل فيقول:"إذا لا يتميز القرآن عن حقيقة التوراة والإنجيل،لا بمصدره ولا بمحتواه، وإنما يتميز بكونه نزل بلسان عربي مبين"أ.هـ (٤)

ويقول في موضع أخر مشيراً على هذا المعنى بغير تصريح:"ليس القرآن هو الكتاب الوحيد الذي في اللوح المحفوظ، بل يجمع المفسرون على أن الأخير بمثابة "النسخة الأصلية للكتب السماوية كلها..."أهـ(٥)

---

١ المصدر السابق ص١١٦

٢ المصدر السابق.، والحديث الأول في صحيح البخاري برقم (٦٩٨٣)، والثاني أخرجه البخاري مختصراً برقم (٦٩٩٠)

٣ الجابري"مدخل إلى القرآن " ص١٣٧.

(٤) لجابري "مدخل إلى القرآن " ص ١٩٤

(٥) ا لجابري "مدخل إلى القرآن "ص١٩٧

ثامناً: منهج التفسير التاريخي المادي عند الجابري:

تقدم معنا أن التيار الماركسي يفسر التاريخ والأحداث والوقائع تفسيراً مادياً وهي من الركائز التي يرتكز عليها الفكر الشيوعي الماركسي، ونجد الجابري يشير في كتابه إلى هذه القضية في ثنايا بحثه مستخدماً هذه الآلية الغربية في التحليل والنقد، وهي أيضاً آلية استخدمها المستشرقون من أمثال مونتغمري وات وبروكلمان وغيرهما.، ومن هذه الأمثلة هذا الأمر :

المثال الأول: أشار الجابري إلى انصراف قريش عن دعوته للتوحيد بسبب المال الذي جاء به الأغنياء وفسر هذا الموضوع تفسيراً مادياً جرياً على عادته وعادة المستشرقين الذين يعملون التفسير المادي فيقول:"والوا قع أن هذا تعليل معقول:فبما أن القبائل العربية كانت لها أصنام في مكة والطائف تحج إليها وتقدم لها الهدايا، وتقيم الأسواق خلال ذلك، فإن مهاجمة الدعوة المحمدية للأصنام كان في الحقيقة مساساً خطيراً بمورد اقتصادي يستفيد منه متمولو مكة والطائف "أ.هـ[1]

المثال الثاني:ترتيبه للقرآن حسب بالنزول الزمني (تاريخ النزول): لا على ماجاء عن النبي والصحابة، وهو بهذا قلد وتأثر بفكرة المستشرقين التي تقوم على استعمال المنهج التاريخي الزمني ويصلون من خلالها إلى:

أ–أن القرآن لا يمكن معرفة تفاصيل سيرته إلا بترتيبها زمنياً والهدف التشكيك في كثير من أحداث سيرته ودعوته صلى الله عليه وسلم، لأنهم جعلوا المصدر الوحيد لسيرته القرآن الكريم وهذا خلل علمي ومنهجي وقع فيه المستشرقون.

ب–مقارنتهم للقرآن بكتابهم المقدس المحرف الذي يحتوي على احداث حياتهم وتفاصيلها التي كتبها القسس والرهبان [٢]؛فالقرآن وحي من الله عزوجل لغرض التأكيد على حقائق الكون والحياة ومنهج الأنبياء والتعريف بحقيقة الألوهية وليس بيان لسيرة محمد على التفصيل بخلاف التوراة والإنجيل التي دخلها التحريف وزاد فيها القسس والرهبان أحداث تاريخية لا علاقة بالوحي.

ج–القدح في القرآن وأن فيه تصرف من النبي صلى الله عليه وسلم كما نص عل ذلك المستشرقون كما تقدم معنا.

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص١١١.

(٢)العمري " مناهج المستشرقين"١/ ٣٥٩.

د–ومن أهدافهم من هذا الترتيب الذي اخترعوه التصرف في القرآن الكريم بالتأويل الفاسد وضرب السيرة النبوية في الصميم بواسطة التشكيك في مجمل عناصرها ومنها التشريع الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم(١).

ويظهر هذا التأثر كما سبق بأن هذه الفكرة ليست من إبداعات الجابري بل هي من إبداعات المستشرقين كبلاشير .

المثال الثالث:إنكار المعجزات: لأن المنهج المادي ينكر الغيبيات وهذا مما وافق فيه الجابري المستشرقين حيث يقول:"هناك روايات تحدثت عن أمور كثيرة نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم على أنها معجزات له من النوع الخارق للعادة وكلها أحاديث آحاد ومعظمها من النوع الذي يتساهل فيه رجال الحديث لكونه يستعمل في الدعوات والترغيب والترهيب والتفسير والمغازي في ما لايتعلق به حكم"أ.هـ(٢)

ويقول: "نحن نؤكد فعلاً أن الشيء الوحيد الذي يفهم من القرآن بأكمله، أنه معجزة خاصة بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم، هو القرآن لا غير فالقرآن يكفي ذاته بذاته في هذا الشأن"أ.هـ(٣)

فهل هذا من إبداعات الجابري وتأملاته في القرآن ؟ الجواب أن هذا هو نقل لما سطره المستشرقون قبله، يقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون:" ولم يقل محمد إنه يأتي بالخوارق مع إيمانه برسالته، وعزا المسلمون إليه خوارق كثيرة مجاراة للعنعنات الشائعة القائلة إنه لا نبوة بغير خوارق "أ.هـ(٤)

ويرى بعض المستشرقين أن بعض المعجزات كالعروج إلى السماء كالخيال الجامح من النبي صلى الله عليه وسلم،حيث يقول عن الإسراء والمعراج:" ولم تكن هذه الرحلة غير ضرب من الرؤى عند أكثر علماء المسلمين"(٥)

ويظهر تأثير هذا الكلام على الجابري حيث يقرر نفيه لمعجزة الإسراء والمعراج بنفس الطريقة، فيرجح أن الإسراء والمعراج حدث مناماً وليس يقظةً فيقول:"الإسراء

---

(١) خضر الشايب "نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي"،(ط١، مكتبة العبيكان، الرياض،١٣٢٢هـ)، ص ٣١٢.،وسيأتي التفصيل في تأثر الجابري في هذه القضية في المبحث التالي.

(٢) المصدر السابق ص١٩٠

(٣) المصدر السابق ص ١٨٧

(٤) غوستاف لوبون"حضارة العرب" ص١١٣

(٥)العمري " مناهج المستشرقين" ٣١٢/١

والمعراج إذاً حدثا على صورة رؤيا منامية ؛ذلك هو الرأي الذي نختاره،من آراء العلماء السابقين "أ.هـ [1].

المطلب الثالث:بيان أثر الأستشراق على موقف الجابري من القرآن –دراسة مقارنة:

١–للاستشراق منهج متميز عن غيره من المناهج الإسلامية في دراسة علوم الشريعة، سواء القرآنية أو الحديثية أو الفقهية أو العقدية وغيرها من العلوم، ومن أهم ما يتميز به الاستشراق هو:

أ–عدم التمييز والتمحيص في المصادر التي يستند إليها فهم يعدون كل ما كتب في علوم الإسلام مصدر من مصادر المعرفة لأخذ التصور عن الإسلام ومصادره، وعلى رأسها الوحي المنزل.

ب–لايتورع المستشرقون في ألفاظهم أو أحكامهم التي يصلون إليها سواء كان فيها قدحاً في النبوة والوحي أو ماهو أعظم من ذلك ولا غرابة فأصل الاستشراق ظهر وبدأت دراساته للنيل من الإسلام ومصادره.

ج–البحث في التفاصيل الدقيقة ومحاولة جمع كل مايعضد الرأي الذي يريدونه دون تمحيص في صحة النقل وتبوته أو اتساقه مع قواعد العلم والمعرفة والمنطق والعقل لأن الهدف جمع ما يعضد الرأي الذي يفترضونه مسبقاً عن القضية التي يبحثونها.

د–استعمالهم لأدوات بحثيه نقدية غربية حديثة مثل: المنهج التاريخي المادي وغيره.

والجابري في هذا الكتاب استخدم كل هذه التقنيات إلا انه لم يكن باللغة والألفاظ الواضحة والصريحة في القدح في القرآن والوحي والنبوة كما فعل المستشرقون.

٢–الاستشراق منهج انتقائي في أبحاثهم وهو البحث فيما يحقق أهدافهم وينتقون من الأقوال والمذاهب ما يوافق مايريدون الوصول إليه فأبحاثهم ملفقة وليس لها أصل بحثي مطرد يمكن أن تحاكمه إلى أصول واضحة سواء في منهج الاستدلال أو طريقة التعامل مع المصادر، فهي بحوث فيها من الفوضى العلمية والعبثية مالا تخطئه عين كل باحث،والجابري في كتابه سار واتبع مسالك الاستشراق في صياغة كتابه وحصد نفس النتائج.

٣–قد يصرح الجابري في مواضع من كتابه بأنه ينقل عن المستشرقين فيما يخص الدراسات القرآنية، ولعل من أوضحها ما يخص ترتيب القرآن الزمني والذي أخذ به

(١)الجابري "مدخل إلى القرآن "ص١٨٩؛مناهج المستشرقين ٣٢٢/١–٣٣٤

الجابري متابعة للمستشرقين.[1]،وأشار أيضاً إلى أن هناك حساسية من بعض أطروحات المستشرقين.

٤-هناك مسائل كبرى انحرف فيها الاستشراق وطعن في النبوة والوحي، وقد أوردها الجابري، بنفس الطريقة والمنهج ومن هذه المسائل:

المسألة الأولى: تشكيك الاستشراق في حفظ القرآن والزعم بأنه دخله التحريف والزيادة والنقصان وقد اعتمدوا على عدة مباحث مثل: جمع القرآن بطرق بدائية، اختلاف القراءات، وقوع النسخ فيه وإسقاط بعض الصور ،اعتماد الصحابة على الحفظ دون الكتابة، والإشادة بالتأويلات الباطنية للفلاسفة وغلاة الصوفية وغيرها، كل هذه المباحث أوردها الجابري في كتابه على نفس السياق الذي ساقه المستشرقون، والفرق بينهما أن الجابري لا يصرح بالهدف ولكن المستشرقون يصرحون.، وهذه بعض الأمثلة:

المثال الأول: ترتيب سور القرآن زمنيا حسب نزولها:

من القضايا التي أثارها المستشرقون وقدموا فيها الأبحاث المستفيضة قضية ترتيب المصحف على حسب نزوله[2]،لا على ماهو متفق عليه بين المسلمين بحجج وعاوى مختلفة منها: أن القرآن معاني غير متسقة وهذا يدل على وجود خطأ أثناء الجمع كما يقول "بلا شير"، " جولد زيهر" في كتابه "مذاهب التفسير الإسلامي " أورد نفس هذه المباحث التي أوردها الجابري وبنفس السياق[3]، وتقدم معنا أن المستشرق "موير" رتب القرآن زمنياً بدعوى معرفة السيرة النبوية، ويقول مؤكداً هذا المعنى في فصل بعنوان "ضرورة ربط فهمنا القرآن بوقائع السيرة "أ.ه[4]ويشير إليه كثيراً.[5]،، ويصرح أن

---

١ أشار الجابري في المدخل ص٢٤٢ومابعدها إلى ترتيب المسشرقين السور حسب نزولها الزمني مثل فعل نولدكه وبلاشير.، والحقيقة أن الذين اعتمدوا هذا الترتيب غالب المستشرقين وليس فقط م أشار إليهم الجابري.

٢ تقدمت الإشارة إلى هذا في بيان موقف المستشرقين من القرآن في المبحث الأول، وانظر: مناهج المستشرقين ٣٥٧/١، موسوعة المستشرقين ص٦٢، ١٢٧.وجمهور كبير من المستشرقين ارتضوا هذا الترتيب وتحمسوا له مثل:مثل بلاشير، ونولدكه، وموير، ورودويل، وغريم، وويل، وجولد زيهر، وغيرهم، انظر: آراء المستشرقين حول القرآن ٤٩٢/٢ومابعدها

٣ انظر: جولد زيهر "مذاهب التفسير الإسلامي " تحقيق:د. عبد الحليم النجار،(ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ) مقدمة المحق ص٦ وما بعدها

٤ المصدر السابقة ص٢٥٤

٥ انظر:"مدخل إلى القرآن الكريم " ص٢٤٥

اعتماده على الترتيب الزمني لكي يستطيع تطبيق المنهج التاريخي في تحليل معاني القرآن.[١]

والجابري يصرح بهذا المنهج عند تبنيه للترتيب الزمني للقصص في القرآن حسب الترتيب الذي اخترعه المستشرقون فيقول:"أما ماورد خلال حكاية ذلك مما يخص الدعوة المحمدية فهو حقائق تاريخية وردت في شأنها أخبار في كتب السيرة وهذه الأخبار ليست هي الدليل على صحتها بل إن ماورد منها في القرآن هو دليل الصحة فيها لأن القرآن منقول إلينا بالتواتر أما أخبار الرواة فهي أخبار آحاد معرضة للخطأ "أ.ه[٢]، وقد ذكر الجابري خلاصة لموضوع القصص وترتيبه للقرآن حسب النزول في أواخر كتابه.[٣]

المثال الثاني:أمية النبي:

أطال المستشرقون وحشدوا الأدلة من التاريخ والروايات والأدلة العقلية على قضية إثبات عدم أمية النبي صلى الله عليه وسلم، وكل هذا واضح لأن غرضهم الوصول إلى قضية أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب القرآن بنفسه، ولعل من أبرزهم المستشرق "مونتعمري وات " صرح بحجج مختلفة وكان مما قال:"ورغم أن الإسلام الأصولي يقرر أن محمداً كان لا يعرف القراءة والكتابة إلا أن هذه المعلومة مشكوك فيها بالنسبة للعلماء الغربيين المحدثين لأنها تبدو موضوعة من أجل إبراز الطابع المعجز لوجود القرآن،وهو عمل لا يستطيع أمي أن ينجزه، وعلى العكس نجد أن عدداً من المكيين كان يعرف القراءة والكتابة، ولذلك يفترض أن تاجراً نشيطاً كمحمد كان يتوافر على حظ من هذه الفنون"أ.ه[٤].

والجابري أطال الكلام والبحث في هذه المسالة وكان مما قال:"وإذا أضفنا إلى ذلك كله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قبل النبوة يتردد على الشام في تجارة لخديجة... وإنه من غير المتوقع أن يكون جاهلاً بالكتابة والحساب وهو يقوم بمهام التجارة بينما

١ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٤٢٨

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٣٧٠

٣ المصدر الساق ص٤١٩.

٤ في كتابه "محمد النبي " ص٣٧(مناهج المستشرقين ٩٤١/٢)

كان أقرانه ممن هم أقل شأناً يعرفون ذلك، أدركنا كم هي راجحة الآراء التي قالت بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف القراءة والكتابة"أ.ه[1]،

ومن خلال هذه النقول يتبين لنا مدى التطابق بين ما يقرره الجابري وما يقرره المستشرقون في اختيار الموضوعات وسياقاتها وفي طريقة الاستدلال.

٥-من الأمور التي خالف الجابري فيها الاستشراق من خلال كتابه عدد من القضايا:

:أولاً: الجابري لا يتلفظ بألفاظ فيها تنقيص صريح من القرآن أو الوحي أو النبي كما يفعل المستشرقون وان اتفق معهم في بعض النتائج.

ثانياً:أنه لا يصرح في الغالب من مراده في سياق هذه المسائل ومن قال بها، بل يجعل القاريء يصل إلى النتيجة، وقد صرح الجابري بهذه المنهجية في كتابه[2].

فعلى سبيل المثال لما ساق الجابري كلام الباطنيين في معنى الوحي وقرر أنهم يرون أن النبوة قد تكون مكتسبة بسبب الأفكار الإبداعية التي بمكن أن يقوم بها البشر، ولم يصرح برأيه ولم يعترض على هذه الآراء، إذاً فما الهدف من سياقها وتقريرها ؟ بالمقابل بصرح المستشرق"مونتغمري وات " بهدفه ويعلن رأيه بصراحة بخصوص نبوة النبي فيقول:"إنه رجل تجسدت فيه التخيلية الخلاقة حتى الأعماق فاستطاع ابتكار أفكار لها صلة بعمق قضية الوجود البشري "أ.ه[3]

ثالثاً: تجنب الجابري إيراد القضايا الكفرية الصريحة والزندقة الواضحة التي في كتب الاستشراق مثل ادعائهم أن الوحي نوع من الصرع والهستيريا.

٦-ركز المستشرقون كثيراً في كتاباتهم على التشكيك وإسقاط مرجعية القرآن والسنة، فأما السنة فشككوا في التدوين واتخذوا مسلك دعوى التأثر بالعصر الجاهلي والقضايا السياسة وتأخر عصر التدوين إلى القرن الثاني، ولعلي المستشرق "شاخت "[4]كان له اليد الطولى في هذه القضية والمستشرق "جولد زيهر".

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٨٥.وحشد الأدلة التي يرددها المستشرقون واطال فيها كثيراً، لماذا كل هذا الحماس لهذه القضية؟.

٢ المصدر السابق ص٤٢٨

٣ العمري "مناهج المستشرقين ٥٢٧/١

٤ شاخت: مستشرق ألماني متخصص في الفقه الإسلامي ولدسنة ١٩٠٢م،وأتقن العربية ودرس في الجامعات المصرية فقه اللغة العربية وغيرها من اللغات التي يتقنها، وفي سنة ١٩٤٧ تجنس الجنسية البريطانية ولم يعد إلى بلده، وكان أحد المشرفين على دائرة المعارف الإسلامية،ودرس في إكسفورد، ثم انتقل إلى نيويورك ودرس في جامعة كولومبيا، وكانت وفاته سنة ١٩٦٩م وكان لكتاباته أثر كبير على المستشرقين. انظر: بدوي"موسوعة المستشرقين ص ٣٦٦.

وأما القرآن فالتشكيك في ثبوته صعب وعسير فاتجهوا إلى إحياء الانحرافات القديمة حول فهم القرآن والتشكيك في وقوع التحريف فيه والزيادة والنقصان وأحياء المذاهب الفلسفية والكلامية الغالية ومحاولة بناء منهج منحرف في التعامل مع القرآن وتسليط النظريات التاريخية وغيرها كما تقدم[١]، وبهذا يكون استهدفوا المصدرين الأساسيين للمسلمين [٢].

وأما الجابري فللأسف استخدم نفس القضية في التعرض لمسألة التدوين بنفس الطريقة الاستشراقية، وكذلك القرآن عرض مباحثه على طريقة المستشرقين في تبني الآراء المنحرفة حول القرآن وبنفس المسلك الذي صنعه الاستشراق.

٧–ظهر لي من خلال البحث أن الجابري كان متأثراً جداً باثنين من المستشرقين وإن لم يصرح بذلك لكن آثار منهجهم واستدلالاتهم واضحة جداً وهما: "جولد زيهر "، و"مونتغمري وات " وهذه بعض الشواهد:

أ–يقول د.عبدالرحمن بدوي في ترجمته لزيهر:"وهو إذا بحث في تفسير القرآن لم يقصد إلى بيان أخطاء المفسرين أو ترجيح رأي الواحد على رأي الآخر، وإنما هو يرمي إلى الكشف عن "الاتجاهات "التي ليست هذه الاختلافات بين المفسرين إلا مظهراً جلياً خارجياً لها سواء هذه الاتجاهات وتلك الميول والأهواء ماهو سياسي صريح وماهو ديني خالص وماهو مزيج بين الدين والسياسة...إلى أن قال: جعلته ينظر إلى المذاهب والنظريات والآراء نظرة زمانية لا مكانية، نظرة حركية لانظرة سكونية، نظرة تاريخية لا نظرة مذهبية "أ.ه[٣].

والجابري يستخدم هذه العبارات (زمانية لا مكانية) [٤]و(نظرة تاريخية) كما تقدم معنا [٥]في البحث،ومن قرأ في كتاب جولد زيهر "مذاهب التفسير الإسلامي " يلمس التوافق في عرضه مع عرض جولد زيهر.[٦]

---

١ انظر: ص٣٢، ٣٧ من هذا البحث

٢ لعل أفضل كتاب تصدى لشبهات جولد زيهر في كتابه "دراسات إسلامية" الذي يعده المستشرقون (إنجيلاً مقدساً) كما يعبر عنه الشيخ الأعظمي،و شبهات شاخت حول السنة وتدوينها هو: الشيخ الأعظمي في كتابه "دراسات في الحديث النبوي" أنظر: مناهج المستشرقين ٣٧٣/١

٣ بدوي "موسوعة المستشرقين " ص١٩٨–١٩٩.

٤ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٢٩٩، ٣٦١.

٥ انظر ٣٢، ٣٧ من هذا البحث

٦ انظر الفهرس في مقدمة كتاب "مذاهب التفسير الإسلامي " لجولد زيهر ص٦–١٣.

ب-يقول د. بدوي -واصفاً منهجه البحثي -وأنه تميز بـــــ:"الأولى: أنه كـــان يـــنهج في أبحاثه منهجاً استدلالياً لا استقرائياً، فكان يقبل على النصوص وفي عقله جهاز مـــن المقولات والصور الإجمالية وحتى يدخل في نطاق المقولات، ولـــم يكـــن يتقـــدم إلـــى النصوص خالياً من كل شيء كي يدعها بنفسها تقول ما يريد ظاهرها أن يقول فيجمعها ويضم الواحد إلى الآخر وينتظر منها هي أن تتكلم...والميزة الثانية:أنه كان بارعاً فـــي كل ما يتصل بالمقارنات عظيمة بما بين المذهب الواحد والمذهب الآخـــر مـــن فـــروق ودقائق"أ.ه[1]،

وتقدم معنا كيف أن الجابري عقد مقارنات بين الفلاسفة وبين الـــشيعة والـــسنة وبـــين المتصوفة وغيرهم ومواقفهم من الوحي والنبوة، ولعلي أذكر نموذجاً في عرضه لتفسير بعض الآيات مستخدماً نفس المنهج الذي اختطه "زيهر" فيقول الجابري:"وهكـــذا نـــرى حضور قصة آدم وإبليس في القرآن هذا الحضور المتكرر لم يكن مـــن أجـــل القـــصة نفسها بل من أجل توظيفها في شرح بعض القضايا الآخـــرى التـــي ذكرهـــا بالقـــصد الأول"أ.ه[2]، ويقول أيضاً:"وبهذا ينسجم مع الغرض من القصص القرآني جملة يوصـــفه وسيلة تذكير وبيان ودعوة لقريش لاستخلاص العبرة من تجـــارب "التـــاريخ"تجـــارب الرسل السابقين مع أقوامهم تماماً مثلما تدعوهم إلى استخلاص العبرة من آثـــار وبقايـــا قرى الأمم السابقة ومن انتظام الظواهر الكونية انتظاماً يخدم الإنسان في نهاية المطـــاف من هذا المنظور نكتشف وحدة السياق بين الآيات التي عرضت لقصة نـــوح والآيـــات السابقة لها والتي جاءت كمقدمة لها وهذا مايلاحظ في سورة الشعراء"أ.ه[3].

ج-وفي كتابه "دراسات إسلامية " الذي عقد فيه مبحثاً عن "الوثنيـــة والإســـلام "يقـــول بدوي:"وفي هذا البحث يكشف "جولد زيهر" لأول مرة عما كان لدين دولة الأكاسرة من تأثير في الأسلام في عهده الأول"أ.ه[4]

يقول الجابري في هذه القضية:" هذا نموذج من اختـــراق القـــيم الكـــسروية للمـــوروث الإسلامي "الخالص " في أسمى أصوله بعد القرآن، وهو الحديث"أ.هـــ(٥)، بـــل يـــصل

١ بدوي "موسوعة المستشرقين ص ١٩٩.

٢ الجابري "مدخل إلى القرآن الكريم " ص٢٩٧.

٣ المصدر السابق ٣٠٠-٣٠١.

٤ بدوي" موسوعة المستشرقين ص٢٠١.

(٥) الجابري " العقل الأخلاقي " ص٢٣٢.

التأثر بجولد زيهر فيقول:" الموروث الفارسي المصدر الأول للكتابة الأخلاقية في الإسلام "أ.هـ[1]

د–انتصر الجابري كما تقدم معنا لترتيب القرآن ترتيباً زمنيا حسب النزول وهذه القضية أكد عليها "جولد زيهر".[2]

ه–يقرر جولد زيهر ومونتغمري وات[3] مبدأ النظرية التاريخية المادية التي يطبقها الجابري في كل مباحث الكتاب على موضوعات القرآن.[4]

٨–التزم الجابري اللوازم التي نتج عنها الدعوى الاستشراقية مثل الدعوى التي أكثر من ترددها الاستشراق في كتبه بأن القرآن تأثر بما في التوراة والإنجيل[5]، وعلى هذا أمثلة:

المثال الأول:يقول الجابري– في ختام الفصل الذي عقده عن القصص في القرآن– :"والحق أن الأصالة والإبداع في القرآن –في مجال القص خاصة –هما في طريقته الخاصة في عرض القصص ؛قصص التوراه،وكل من يريد أن يلمس هذا الجانب (الأصالة والإبداع)فما عليه إلا أن يضع التوراة أمامه ويحاول أن يعبر عن قصصها بصورة تشبه الطريقة التي عبر بها القرآن "أ.ه[6]

المثال الثاني: يقول:" إذا لا يتميز القرآن عن حقيقة التوراة والإنجيل لا بمصدره ولا بمحتواه، وإنما يتميز بكونه نزل بلسان عربي مبين "أ.ه[7]

هذا النقل لو قاله مستشرق لعلمنا هدفه وهو بيان أثر التوراة على القرآن وأن محمداً صلى الله عليه وسلم استفاد منها في كتابة القرآن كما يزعمون، ولكن النقل للجابري في كتابه الذي نحنن بصدده.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٦.

٢ انظر: زيهر "مذاهب التفسير الإسلامي " ص٢٩٨.

٣ يعتبر "وات "ممن تأثر بالمنهج الماركسي المادي، ولهذا تجد أثر تفسيراته المادية في كتابات الجابري، وممن تتأثر بهذه المنهج المادي التاريخي المستشرق "بروكلمان"، والمستشرق الألماني "هوبرت جريمي" انظر: مناهج المستشرقين ١/٥٠٣–٥٠٧

٤ المصدر السابق ص ٣٥٧، ٣٧٧.

٥ انظر: "العمري "مناهج المستشرقين " ١/ ٥٣٢؛ رضوان "آراء المستشرقين حول القرآن "٢٨٩/١

٦ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٤٢٣.

٧ الجابري: مدخل إلى القرآن " ص١٩٤.

الخاتمة وتشمل:أهم النتائج والتوصيات:نبدأ بالنتائج وهي:

١-الأثر الكبير والخطير في كتابات المستشرقين على الساحة العلمية والثقافية في العالمين العربي والإسلامي.

٢-استفادة التيارات المعادية للإسلام في العالم العربي من الطرح الاستشراقي بل كانت عوناً له في كتاباتها.

٣-اصطبغ الكتاب بصبغة تشكيكية في غالب مباحث الكتاب والتي هي من المسلمات والقطعيات كحفظه من الزيادة والنقصان والإعجاز وغيرها من المباحث.

٤-سلك الجابري مسلك الاستشراق في طريقة عرض الموضوعات ومنهجية البحث حول القرآن دون أن يشير إلى ذلك إلا في مواضع نادرة من الكتاب.

٥-الجابري خالف الاستشراق في تعبيراته عن القرآن وخاصة التي فيها جرأة على قداسته وحفظه وإعجازه.

٦-حصل عند الجابري خلل منهجي في المادة العلمية من حيث وثوقية المصادر ومن حيث اعتماد مرجعيتها في التراث الإسلامي كالباطنية وغيرهم.

٧- استعمل الجابري مناهج غربية واستشراقية في بحثه لا تتناسب مع طبيعة البحوث الشرعية وخاصة ماكان حول القرآن الكريم، مثل: المادية التاريخية، والمنهج الانتقائي الاستشراقي.

٨-كان للمستشرق "جولد زيهر" أثر كبير في كتابة الجابري حول القرآن الكريم وخاصة في منهجية البحث.

٩-هذا الكتاب يظهر أنه كتاب استشراقي بامتياز فيي جميع موضوعاته وطريقة معالجتها.

١٠- هذا الكتاب امتداد لمشروع الجابري الكبير "نقد العقل العربي " كما صرح به في الكتاب.[١]

١١- اختم هذه الخاتمة بما ختم به الجابري كتابه بقوله:" وعلي أن أعترف الآن أن هناك سراً لم يستطع عقلي اكتناه حقيقته إنه هذا الذي عبرنا عنه بـــ"العلاقة الحميمية بين الرسول محمد بن عبدالله وبين القرآن الكريم "أ.ه[٢]

---

١ الجابري "مدخل إلى القرآن " ص٤٢٧

٢ المصدر السابق ص٤٣٣.

التوصيات:

١-تحتاج الساحة العلمية لدراسات أكثر حول أثر الاستشراق على الفكر العربي المعاصر سواء في نتاج الجابري الفكري أو غيره من المفكرين.

٢-العناية بمشروعات علمية للدفاع عن القرآن الكريم، وخاصة مع كثرة البحوث الاستشراقية حول القرآن وممن تأثر بهم من التيارات المعادية للإسلام.

٣-كتاب"مدخل إلى القرآن الكريم "يحتاج إلى دراسات نقدية أخرى في جوانب شتى درسها الجابري، وخاصة في موضوعات: الوحي والنبوة، والقصص القرآني.

٤-اعتماد مواد لطلاب الدراسات الجامعية العليا الدفاع عن القرآن والتعريف بجهود المستشرقين والمتأثرين بهم في الساحة العربية والإسلامية.

٥-التركيز في الدراسات على" دراسات نقدية" للمناهج الغربية النقدية التي يستخدمها المستشرقون وتلامذتهم وتنزيلها على نصوص الوحي المطهر.

فهرس المراجع والمصادر

١. ا.ل شاتلية:"الغارة على العالم الإسلامي"ترجمة: مساعد اليافعي ومحب الدين الخطيب،(ط٢،جدة،منشورات العصر الحديث،١٣٨٧هـ).

٢. أبو زيد، نصر حامد"النص "السلطة الحقيقية "،(ط١، المركز الثقافي العربي، المغرب،١٩٩٥م)

٣. أبو هندي، محمد "مشروع النهضة بين الإسلام والعلمانية–دراسة في فكر محمد عمارة ومحمد الجابري"،(ط١،دار السلام، القاهرة، ١٤٣١هـ).

٤. أبو زيد،نصر حامد " إشكاليات القراءة وآليات التأويل"(ط٧،المركز العربي الثقافي، المغرب،٢٠٠٥م).

٥. أبو زيد، نصر حامد "مفهوم النص دراسة في علوم القرآن"،(ط٤، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٨م).

٦. الإدريسي، حسين "محمد عابد الجابري ومشروع نقد العقل العربي "،(ط١،مكتبة مؤمن قريش،بيروت،٢٠١٠م).

٧. –إدوارد سعيد،"الاستشراق "ترجمة: محمد عناني(ط.دار رؤية ٢٠٠٨م).

٨. أركون، محمد " الفكر الأصولي واستحالة التأصيل"(ط٢، دار الساقي،٢٠٠٢م)

٩. أركون، محمد " الهوامل والشوامل حول الإسلام المعاصر"(ط١،الطليعة،٢٠١٠م)

١٠. أركون، محمد " قضايا في نقد العقل الديني "ترجمة: هاشم صالح، (ط دار الطليعة).

١١. أركون، محمد "الفكر الأصولي واستحالة التأصيل "،(ط٢، دار الساقي،٢٠٠٢م)

١٢. أركون، محمد " الفكر الإسلامي نقد واجتهاد"ترجمة:هاشم صالح (ط.الموسسة الوطنية للكتاب، الجزائر).

١٣. الألباني، محمد ناصر،"سلسلة الأحاديث الضعيفة "،(ط١، الرياض، دار المعارف، ١٤١٢ه).

١٤. بدوي، د.عبدالرحمن "موسوعة الفلسفة "،(ط١، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،١٩٨٤م).

١٥. بدوي، د.عبدالرحمن "موسوعة المستشرقين"(ط٣، بيروت –لبنان، دار العلم للملايين،١٩٩٣م).

١٦. بروكلمان، كارل "تاريخ الشعوب الإسلامية "ترجمة:نبيه فارس،منير بعلبكي، (ط٧،دار العلم للملايين، بيروت،١٩٧٧م)
١٧. البكاري، عبدالسلام وبوعلام،الصديق "الشبه الاستشراقية في كتاب مدخل إلى القرآن الكريم " (ط١، الرباط:الدار العربية للعلوم،١٤٣٠هـ).
١٨. بلقزيز، عبدالإله "نقد التراث"،(ط٢،بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٦م)
١٩. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم "درء تعارض العقل والنقل " تحقيق د. محمد رشاد سالم،(ط٢، الرياض، نشر جامعة الإمام، ١٤٢٢ه)
٢٠. توملين:"فلاسفة الشرق": ترجمة عبدالحليم سليم (القاهرة، ط.دار المعارف).
٢١. الجابري،محمد عابد "الخطاب العربي المعاصر–دراسة تحليلية نقدية "،(ط٦،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ١٩٩٩م).
٢٢. الجابري،محمد عابد"مدخل إلى القرآن الكريم –الجزء الأول –في التعريف بالقرآن الكريم "،(ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م).
٢٣. الجابري، صلاح " الاستشراق قراءة نقدية"(ط١،دار الأوائل،٢٠٠٩م)
٢٤. الجابري، محمد عابد " العقل الأخلاقي العربي–درسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية "،(ط١،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١م).
٢٥. الجابري، محمد عابد "الديمقراطية وحقوق الإنسان"،(ط٢،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٧م).
٢٦. الجابري، محمد عابد "بنية العقل العربي–دراسة تحليلية نقدية لنظم المعرفة في الثقافة العربية "،(ط٥،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٦م).
٢٧. الجابري، محمد عابد "تكوين العقل العربي"،(ط٨،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،٢٠٠٢م)
٢٨. الجابري،محمد عابد"حفريات في الذاكرة من بعيد".مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،١٩٩٧م.
٢٩. الجابري،محمد عابد"نحن والتراث:قراءة معاصرة في تراثنا الفلسفي "،(ط٦،المركز الثقافي العربي، بيروت، ١٩٩٣م)
٣٠. الجابري،محمدعابد"الدين والدولة وتطبيق الشريعة"،(ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٦م).

٣١. الجار الله، د. سليمان و عبدالمحسن، د. عبد الراضي محمد:"محمد صلى الله عله وسلم في أدبيات الفكر الغربي"،(الرياض، مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٣١هـ).
٣٢. جولد زيهر "مذاهب التفسير الإسلامي " تحقيق:د. عبد الحليم النجار،(ط. مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٧٤هـ).
٣٣. الحاج، ساسي سالم "الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية "،(ط١،بيروت –لبنان،دار المدار الإسلامي،٢٠٠٢م)
٣٤. حرب، علي "نقد النص"،(ط.٤،المركز الثقافي العربي،المغرب، ٢٠٠٥م)
٣٥. الحنفي، ابن أبي العز"شرح العقيدة الطحاوية"تحقيق:التركي، الأرناؤوط، (ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٣٨هـ).
٣٦. حنفي، د.حسن " دراسات إسلامية " (ط١، دار التنوير، ١٩٨٢م).
٣٧. حنفي، د.حسن " مقدمة في علم الاستغراب"،(ط١، القاهرة، الدار الفنية،١٤١١هـ)
٣٨. خوان غويتسولو:" في الاستشراق الأسباني"،ترجمة: كاظم جهاد، (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر)
٣٩. الربيعي،فاضل "مابعد الاستشراق"، (ط١،بيروت، مركز درسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨م).
٤٠. رضوان، عمر إبراهيم "آراء المستشرقين حول القرآن وتفسيره–دراسة نقدية– "،(ط١،الرياض، دار طيبة).
٤١. زقزوق،محمود حمدي "الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري"،(ط١،القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ١٤٢٩هـ)
٤٢. زيهر، جولد "العقيد والشريعة في الإسلام" ترجمة:محمد يوسف موسى وآخرون.،(ط.الرائد العربي، بيروت، ١٩٤٦م).
٤٣. السباعي، د. مصطفى " الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم"(ط. دار الوراق والمكتب الإسلامي (بدون تاريخ).
٤٤. السكران، إبراهيم "التأويل الحداثي"،(ط١، الرياض، دار الحضارة، ١٤٣٥هـ)
٤٥. السويسي، د. محسن " مؤتمرات المستشرقين العالمية: نشأتها –تكوينها –أهدافها"رسالة دكتوراه. قسم الاستشراق بكلية الدعوة بالمدينة المنورة عام ١٤١٩/ ١٩٩٨م تحت إشراف الدكتور حامد غنيم أبو سعيد.

٤٦. الشايب، خضر"نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في الفكر الاستشراقي"،(ط١، مكتبة العبيكان، الرياض،١٣٢٢هـ).
٤٧. الشرفي، عبدالمجيد "الإسلام بين الرسالة والتاريخ"،(ط١، دار الطليعة، ٢٠٠١م)
٤٨. شرقة، د.ظافر "النسق المضمر في القراءة العلمانية لآراء ابن رشد في الوحي والتأويل "، (ط١، الرياض، دار الوعي، ١٤٣٨هـ).
٤٩. شيخاني، محمد " المستشرقون ودورهم في ترجمة القرآن الكريم"،(ط١،الندوة العالمية حول ترجمات القرآن الكريم، ١٩٨٦م)،: ١٣٨-١٤٧.
٥٠. الطبري، محمد بن جرير "جامع البيان "،(ط١، دار هجر، ١٤٢٢ه).
٥١. طرابيشي، جورج "معجم الفلاسفة"، (ط٣، بيروت، دار الطليعة،٢٠٠٦م)
٥٢. الطعان، أحمد "العلمانيون والقرآن الكريم "،(ط١،دار ابن حزم،بيروت، ١٤٢٨هـ).
٥٣. الظفيري، تركي "الاستشراق عند إدوارد سعيد رؤية إسلامية"،(ط١،جدة، دارالتأصيل).
٥٤. عبدالمحسن، د. عبد الراضي " ماذا يريد الغرب من القرآن"،(ط١، الرياض،مجلة البيان،١٤٢٧هـ).
٥٥. لجنة من العلماء السوفيتين "الموسوعة الفلسفية "بأشراف:روزنتال، ويودين ترجمة: سمير كرم (ط٩، بيروت، دار الطليعة، ٢٠١١م).
٥٦. العقيقي، نجيب "المستشرقون"(ط٣، مصر: دار المعارف، ١٩٦٤م)
٥٧. عمارة، محمد "التفسير الماركسي للإسلام "،(ط٢، دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٢هـ).
٥٨. العمري، رياض "مناهج ا لمستشرقين وموقفهم من النبي صلى الله عليه وسلم –عرض ونقد – في ضوء العقيدة الإسلامية"،(ط١،مركز التاصيل للدراسات والأبحاث، ١٤٣٦هـ).
٥٩. الغصن، سليمان "إعادة قراءة النص الشرعي واستهدافه في الفكر العربي المعاصر"(ط١، الرياض، دار كنوز اشبيليا،١٤٣٧هـ).
٦٠. القاسم، خالد " مفتريات وأخطاء دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية"،(ط١، دار الصميعي، الرياض، ١٤٣١هـ).
٦١. القفطي، جمال الدين " إخبار العلماء بأخبار الحكماء" (ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٢٦ه)

٦٢. لوبون، غوستاف "حضارة العرب " ترجمة: عادل زعيتر،(ط٣،دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٧٩م)
٦٣. لويس،برناد "الإسلام والغرب" ترحمة:فؤاد عبدالمطلب،(ط١،نشر:اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧م).
٦٤. المديفر،د.عبدالله "كتاب مؤسسة البحث والتطوير راند وموقفها من الدعوة الإسلامية – دراسة وصفية تحليلية نقدية في الاستشراق الأمريكي الجديد" (ط١،جدة، مركز التأصيل، ١٤٣٦هـ).
٦٥. مفتاح، الجيلاني "الحداثيون العرب في العقود الثلاثة الأخيرة وموقفهم من القرآن"،(ط١،دار النهضة،١٤٢٧هـ).
٦٦. المنجد، صلاح الدين"ا لمستشرقون الألمان(ط١، دار الكتاب الجديد، ١٩٧٨م).
٦٧. نجدي،د.نديم،"أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر عند (إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبدالله العروي)، (ط١،الفارابي،٢٠٠٥م).
٦٨. النملة، د.علي "الاستشراق الألماني بين التميز والتحيز"(ط١،بيسان،٢٠١٨م)
٦٩. النملة، د. علي " كنه الاستشراق: المفهوم– الأهداف – الارتباطات"،(ط٣،بيسان، ١٤٣٢هـ).
٧٠. النملة، د.علي "مصادر الاستشراق والمستشرقين، ومصدريتهم"،(ط٢، بيروت، بيسان،١٤٣٢هـ).
٧١. النيهوم، الصادق " الإسلام في الأسر"،(ط٣، دار رياض الريس،بيروت، ١٩٩٥م).
٧٢. وات، مونتجومري "محمد في مكة" ترجمة:شعبان بركات،(ط.المكتبة العصرية، صيدا – لبنان)
٧٣. وهبة،مراد «المعجم الفلسفي»، (القاهرة،١٩٧١م).
٧٤. الوهيبي،عبدالله "حول الاستشراق الجديد"،(ط١،الرياض، البيان–مركز البحوث والدراسات، ١٤٣٥هـ).